روايات عبير

٤٦٨

رجل الكهف

WWW.REWITY.COM
مرمورية

روايات عبير

No: 468

قالت "حنا كوربيت" :

- لا تهتم يا "رايدر" ... من الواضح أنني لست متحررة كما كنت أظن .. وربما مع حمام "سونا" أتحرر من أشباح الماضي .

- آه ... ها ؟

قطبت "حنا" جبينها وهي تحاول ألا تفقد حبل الحديث . وسألته :

- ما معنى "آه .. ها" هذه ؟

ازدادت عيناه قتامة ثم قال :

- إنك تظنين أنني سأتركك بنفس الطريقة التي هجر بها أبوك أمك . وكما فعل زوج "لوسي" .. وبالتأكيد ما حدث للعديد من الأخريات . يجب أن أنال ثقتك ...

- إن الزمن كفيل بالتغيير .

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

الغلاف الأمامي

تعيش بطلتنا "حنا كوربيت" في خدمة عشيرتها من الهنود الحمر في بلدة صغيرة قريبة من مستعمرات الهنود الحمر، وهم السكان الأصليون لأمريكا . وقد ربتها جدتها بعد وفاة أمها في حادثة . وكانت أمها قد أنجبتها من مغامر إنجليزي هجرها بعد فترة قصيرة؛ ولذلك كانت البطلة من أصل هو خليط هندي "وانجلو ساكسوني" .

كانت الجدة قد ارتبطت بعلاقة صداقة حميمة بفتاة من أصل "انجلو ساكسوني" هاجر ابنها إلى موطنه الأصلي في إنجلترا وانجب أربعة أولاد عاشوا مع جدهم الإنجليزي في أمريكا .

بطلنا في هذه الرواية أحد هؤلاء الأبناء وهو مغامر يعمل في التنقيب عن البترول والمعادن، ويتصادف أن تكلفه جدة البطلة قبل وفاته بالتنقيب عن البترول في أرضها الواقعة داخل شعب "النافارو" الهندي . وتقاوم البطلة محاولات البطل الحصول على امتياز التنقيب ويدور صراع شديد بين مختلف الحضارات والثقافات والتقاليد والمعتقدات في عرض شبه تاريخي رومانسي .

شخصيات الرواية

- "حنا كوربيت" شابة متعلمة، من أصل هندي من ناحية الأم و"انجلو ساكسوني" من ناحية الأب . تعمل لصالح عشيرتها .
- "رايدر نايت" : شاب يعمل في التنقيب عن البترول والمعادن. كانت جدته ترتبط بعلاقة صداقة حميمة مع جدة "حنا" .
- "دون سكايلارك" : جدة "حنا كوربيت" .
- "ديزي" : بائعة بدينة في مجمع التجارة الذي تملكه "حنا" .
- "بيلي شي" : عامل محطة خدمة السيارات ببلدة "بيكون ريدج" .

www.rewity.com مـــروريـــة

المقدمة

سعد "كنج نايت" عندما قال في نفسه : إنه ساهم في سعادة أبنائه الأربعة الزوجية في المستقبل . كان على وشك الحصول على أكبر إنجاز في حياته الا وهو أحفاده .

فكر "كنج" وهو يعبر مزرعة الورد أن عليه أن يطلب من البستاني الرئيسي "سيريل بيتس" أن يقلم السياج حتى يوسع المدخل . وهكذا في المرة القادمة عندما يحضر ابناؤه سيسارعون معا خطا واحدا إلى داخل الحديقة .

ابتسم "كنج" في غبطة . إنه يجد سعادته في أن يجد أن كل ما توقعه يحدث تماما كما كان يتمنى ، حتى رؤية البستاني الأحدب المتهالك يجب الا تؤدي إلى تغيير مزاج "كنج" المعتدل في هذا اليوم ورغم الرائحة النفاذة للأسمدة- التي تدمع العيون- فإنه لم يتراجع عن طريقه .

رفع "سيريل" رأسه عند اقتراب "كنج" وكانت قبعته كالعادة موضوعة على شعره الأشيب . كان مرتديا معطفا قديما من الصوف التويد واسعا جدا وملفعة من التريكو وقميصا "اسكتلندي" من النوع المكرمش .

تساءل "كنج" مرة أخرى حول سن الرجل العجوز، وبقدر ما ترجع به الذاكرة فإن "سيريل" كان يعمل لدى الأسرة قبل أن يعمل عنده، وكان البستاني دائما يبدو عجوزا بالنسبة له .

كالعادة فتح "سيريل" عينيه على اتساعهما ليتامل "كنج" وبحاجبيه الكثيفين يمكن اعتباره مثل البومة الحولاء . رفع يده الملوثة بالطين إلى حافة قبعته. وقال :

- نهارك سعيد يا سيدي .

- وأنت كذلك يا "سيريل" . للأسف إن الشمس ليست ساطعة .

رفع رأسه إلى السماء الغائمة .. لقد كانت الشمس هي التي تحتاجها بعد أفول شمس الراحلة زوجته .

- هل السماد الذي طلبته مني من أجل مزرعة عش الغراب هو الذي يبعث هذه الرائحة ؟

أخذ "سيريل" بكفيه العاريتين بعض السماد ثم حاول أن يبتلعه:

- لا يوجد أفضل منه يا سيدي . لا يوجد أفضل من روث الخيل في زراعة عش الغراب كطبقة سماد . إنها حقيقة دامغة .

سارع "كنج" بالهمهمة خوفا من أن يطلب منه "سيريل" أن يجرب السماد بنفسه :

- أنا أصدق كلامك دون معارضة .

سارع بأن أعلن محاولا تغيير الموضوع :

- مادامت الضيعة ستشبه من الآن فصاعدا سفينة نوح فإنني أحب أن ترتب أمورك بحيث يساعدك أحد صبيانك في توسيع مدخل

الحديقة .

مرر "سيريل" يده المتحجرة على وجهه المتغضن واخذ يفكر في إعلان "كنج" . إن يد هذا الرجل العجوز كانت ملوثة بروث الخيل وهو يمسح وجهه ومع ذلك فإنه لم يعر ذلك أي انتباه :

- أتقول سفينة نوح يا سيدي ؟

- لابد انك قد لاحظت اننا في الفترة الحالية كان لنا الشرف أن استضفنا انسات شابات . والأولاد يرحلون الآن أزواجا مثل حيوانات سفينة نوح .

همهم البستاني :

- اثنان منهما على الأقل : السيد "ميشيل" شكا انه لم ير أيا من أحواض الورود مزدهرا . إنه يريد أن يقطف بعض الورود من أجل الآنسة "هارولد" وقلت له : إن هذه الآنسة ليس أمامها إلا أن تعود في الربيع .

- من المحزن أن الورود لا تكون في أبهى جمالها في هذا الوقت من السنة يا "سيريل" . وانا لا أجد ما هو اكثر رومانسية من تقديم وردة إلى فتاة فاتنة .

- هذا لأنه لا يوجد ما هو أجمل من الورود . هل سيتزوج الأربعة كلهم ؟ وإذا كنت تريد أن يكون هناك ورود في حفل الزفاف فإنني أحذرك بانها لن تزدهر في الحال .

- حاليا ليس هناك سوى "ميشيل" و"تيرنر" اللذين يفكران جديا في الزواج ولكننا لم نحدد الموعد بعد . ثم يجيء بعد ذلك دور "رايدر" . أما بالنسبة لـ"سلفر" فاخشى انها ستستغرق وقتا أطول . وساقول لهم: إن عليهم الانتظار إلى الربيع من أجل الورود إذا رغبوا في إقامة الحفل في الحديقة .

أبدى "سيريل" امتعاضه :

- أعتقد أنه ليس بيدنا شيء نفعله . إن هذا النوع من الرومانسية يحدث في أحسن العائلات .

اعترف "كنج" وهو يضحك :

- فعلا !

امتنع عن أن يعترف لـ"سيريل" أنه ربما ستصل أخبار قريبا عن الأولاد في القصر . إن العجوز المسكين يكفيه ما أصابه من إحباط : لأن حفلات الزفاف القادمة ستستهلك راس ما له من الورود .

إن إخباره أن الأولاد سيطئون النجيل ويخربونه ويقطعون الزهور ؛ سيزيد اضطرابه وقلقه .

أما بالنسبة لـ"كنج" فإنه كان يتعجل سماع ضحكات أحفاده .

إن تفكيره في الجيل الجديد من آل "كنج" قد أزاح عن كاهله تانيب الضمير . بالنسبة للبستاني العجوز إن من الحكمة ألا يتدخل في حياة أولاده .

لو ترك ابنه الثالث يعيش على هواه فإنه سيظل أعزب سنوات طويلة، ويكتفي بالبحث عن الذهب ، ربما لا يدرك "رايدر" أن حفيدة "دون رايدر" قد تكون الطعم الفاتن له .

الفصل الأول

عند عبور "رايدر كنج" مدينة "بيكون ريدج" الجميلة أحس بانه مثل ابن عرس الذي يظهر دون توقع اثناء رحلة خلوية . وبالمصادفة لم يكن في حاجة إلى السؤال عن مكان البنك التجاري.

كانت نظرات الناس هناك عدائية . وتساءل : ماذا جعلهم منزعجين لهذه الدرجة ؟ ولكن النظرات الباردة والمتجاهلة - التي تلقاها منهم وهو يتجه نحو مدخل البنك - جعلته يحس بالتوتر .

قال في نفسه :

إن المؤكد انه لا داعي لأن يتعصب في الأونة الأخيرة . إن عصبيته التي لا مبرر لها خلال الشهرين الماضيين ادت إلى اعتلال مزاجه . والذي زاد سرعة غضبه هو انه قضى وقتا وراء مكتبه أكثر مما يقضيه في الأرض . ولهذا السبب كان عرقه ينزل غزيرا تحت شمس وسط النهار الرهيبة وهو يعبر تلك المدينة الصغيرة العادية وسط الأسبوع في حين انه كان يستطيع أن يستفيد بالراحة في مكتبه

الفسيح مكيف الهواء في "هوستن".

وقف أمام الحانوت وأخذ ينظر إلى العمارة . وجد لافتة ضخمة مكتوبا عليها بحروف التاج المحفورة في الخشب ومعلقة على سقف : المبنى "البنك التجاري".

كان النمط المعماري للشرفة الأمامية للمبنى يذكر بالحوانيت الصغيرة التي ترجع إلى عهد الاندفاع للبحث عن الذهب وعصر العربات الرحالة . ويضاف إلى ذلك لمسة من الغرب الأقصى عن طريق وجود أوتاد لربط الخيل عند شرفة البنك .

كان البنك يقع عند نهاية الطريق الرئيسي وله ساحة انتظار أكبر بكثير من الساحات الملحقة بمعظم حوانيت "بيكون ريدج" . فكر "رايدر" أن هذه هي التجارة المزدهرة .

بعد أن ألقى نظرة على واجهات العرض المعروض بها أواني الفخار من الصناعة المحلية وحلي مقلدة وفحص بسرعة الإعلانات قبل أن يدفع باب الدخول . أعلن صليل جرس فوق رأسه عن دخوله بضجة عالية . وبالقرب من ميزان ضخم وقفت امرأة بدينة تملأ كيسا ورقيا بثمار المشمش المجفف ولم ترفع عينيها نحوه .

لم يكن "رايدر" في حاجة لأن يسأل ليعرف أن هذه هي المرأة التي جاء ليقابلها . كانت واضحة للعيان تماما. والتشابه الوحيد بين هذه السيدة وصورة "حنا كوربيت" هو أن كلتا المرأتين شعرها أسود. على أية حال فإن المرأة الجالسة خلف مكتب الحسابات والتسليم تقترب من سن الخمسين وهو يعرف أن "حنا كوربيت" قد انتهت لتوها من الاحتفال بعيد ميلادها الثلاثين . وحسب الصورة التي وجدها في الملف على مكتبه مصادفة فإن المرأة التي كان يبحث عنها ضخمة أكثر من البائعة وتفوقها وزنا بعشرين كيلو جراما على الأقل .

كانت تلك الصورة قد أزعجته كما لم تزعجه أي امرأة من قبل .

وكانت العاطفة التي اثارتها كافية لان تثير فضوله . ادرك وقتها انه مر عليه وقت طويل منذ أن أصبح اعزب وكانت صورة آخر امراة عاش معها مغامرة أصبحت مهزوزة وغير واضحة ، وانتهى به الأمر إلى الاقتناع بان إحباطه وعدم رزانة تصرفاته يمكن ان يكونا راجعين إلى غياب الصحبة النسائية . ومادامت مجرد صورة فوتوغرافية قد اثارته وكانه مراهق يعثر على إحدى المجلات الفاضحة فقد قال في نفسه :

إنه في حاجة إلى تغيير في إطار حياته ، أو إلى حمام بارد يفيقه ، أو إلى طبيب نفسي .

قرر ان يترك "هوستن" ليذهب إلى "بيكون ريدج" في ولاية "اريزونا" . والآن لم يبق امامه إلا ان يجد الطريقة التي يقابل بها "حنا كوربيت" .

تامل "رايدر" البائعة وهو يتساءل : كيف يتحدث معها ؟ إن المراة تبدو في طيبة السجانة !

كانت البائعة ترتدي صدارا من القطيفة السوداء و"چيبا" رمادي اللون ، ورفعت شعرها لاعلى على شكل كعكة ، تنزل من الخلف ضفيرة إسبانية .

كانت تتحدث مع الزبائن بلهجة لم يفهمها "كنج" ولكنه كان قد سمعها من قبل في الحي التجاري ببلدة "بيكون ريدج" .

تاثر الشاب عندما رآها ترفع بكل سهولة جوال دقيق زنة خمسين كيلو جراما . إنها نوع من الاشخاص من الافضل ألا يقارن نفسه بها . تركها تنتهي أولا من بقية الزبائن واخذ يعجب بهذا العدد الكبير من الأساور الفضية الموضوعة حول معصميها والعقد الذي يزينه حجر كريم "تركوازي" اللون . ضخم ويستقر على قطيفة الصدار .

عندما جاء دوره تقدم للأمام . بدا التوجس في الحال على وجه البائعة ولكن ذلك لم يمنعه من أن يسالها :

- إنني ابحث عن "حنا كوربيت" لقد علمت أن المحل ملكها .. هل يمكن أن تدليني اين أجدها ؟

هزت المراة التي من أصل إسباني رأسها وقالت :

- إنها ليست هنا .

هذه المعلومة كان "رايدر" قد عرفها من تلقاء نفسه. كان على وشك أن يعيد صياغة سؤاله بطريقة مختلفة عندما سمع صوت شيء ثقيل يسقط في نهاية المحل جعل البائعة تقفز في مكانها فزعة .

ارتفع صوت نسائي وهو يسب ويلعن بالإسبانية، وكان اختيارها لالفاظها قد جعله يبتسم . كان على معرفة جيدة بالإسبانية وخاصة الكلمات التي تتردد باستمرار في حواري قاع المجتمع وقد تاثر من مفردات السيدة الملونة .

اخذ يتامل الموظفة ولاحظ نظرتها المرعوبة وهي تنظر إليه . ثم ادارت راسها نحو ستارة وكانها تخشى وقوع شيء مريب . لم يكن "رايدر" بحاجة لأن يسالها عن سبب اضطرابها . فقد كانت تعبيرات وجهها تعطيه الإجابة الكافية على أسئلته . وهي تعرف ذلك. اعلنت المراة البدينة بصوت وحشي :

- الآنسة "حنا" مشغولة .. عد فيما بعد .

لقد زادت حيرة "رايدر" أمام هذه المراة التي جعلته يتناسى مؤقتا مقابلة الآنسة "حنا كوربيت" . إن امراة تسب وتلعن بهذه البلاغة والموهبة إنما هي في الحقيقة تثير الانتباه .

- لا تشغلي بالك فإن الأمر لن يستغرق دقيقة .

توجه ناحية نهاية المحل واحس بنظرات المراة البدينة تخترق ظهره وهو يدور حول القسم الذي يفصله عن هدفه . لاحظ أن المراة قد سارعت لتقطع عليه الطريق . ولحسن حظه رن جرس التليفون خلفها مما حول انتباهها بعيدا عنه

عندما اقترب "رايدر" من الستارة رفعها بذراعه وأدرك في تلك اللحظة أن متاعبه وإحباطه قد تركا المكان ليحل محلهما بهجة مثيرة لم يسبق له أن أحسها من وقت طويل .

سمعت "حنا" صوت صرير انزلاق الحلقات الخاصة بالستارة فوق العمود الذي يحملها . كانت منحنية على صندوق كرتون ضخم يصل ارتفاعه إلى منتصف ساقيها وأخذت تزيل نشارة الخشب . كانت قد طلبت من المنتجين أن يستبدلوا العبوات البلاستيكية بمواد طبيعية للتحبيش والتعبئة ولكن تلك النشارة كانت كارثة لأنها التصقت بكل ملابسها . كانت قد دست رأسها داخل الكرتونة وحاولت أن تعثر على قطعة من الفخار . ثم أعلنت بصوت مخنوق : وهي تتوقع أن تسمع صوت صاحبة العمل "ديزي" يؤنبها :

- أعرف ما ستقولينه يا "ديزي" ولكن لدي عذر مقبول يبرر تفوهي بالكلام غير اللائق . وأنت كان من الممكن أن تسبي وتلعني أكثر مني لو أنك تلقيت هذا الصندوق الثقيل على قدمك .

رد عليها صوت رجولي :

- بلا شك عندك حق .

تسمرت "حنا" في مكانها ثم استقامت ببطء وحذر واستدارت . كان شخص مجهول واقفا على عتبة الباب . وأدركت أنه يفحصها بالتفصيل فحص صندلها الجلدي وكان مستهلكا مثل حذائه مما أظهر لها أن ذلك المجهول ليس سائحا . كانت تأمل أن يتضايق هو أيضا من تأملها وفحصها له .

كان مرتديا بنطلونا من الچينز الأسود وكان ضيقا بحيث التصق بساقيه ووسطه الرفيع . أما قميصه الأسود فقد كان مفتوح الأزرار عند العنق وقد بدا أنه تعرض لمتاعب الجو الحار الخانق . وكان يرتدي قبعة غطت حافتها عينيه .

عندما رفع "رايدر" رأسه ببطء التقت عينا الشابة بعينيه ورأت فيهما غموضا . وكانتا بلون اللازورد وهو اللون الغالب على الأحجار التي تستعملها في صنع الحلي. كما لاحظت أنهما يشوبهما بعض المكر. بدا أنه مسرور من هذا الفحص وليس متضايقا . تأملت بإمعان شديد قبعته المصنوعة من الفرو الأسود . قالت له :

- ألم تعلمك أمك أن من الأدب أن ترفع ما على رأسك في حضور سيدة ؟

وافقها الشاب في أدب وقال :

- وكذلك أن أفتح لهن الأبواب وأن أساعدهن على الجلوس وخلع معاطفهن .

- فكر في مدى غضبها لو علمت أنك لم تخلع قبعتك .

عقد ذراعيه على صدره وقال :

- وهي أيضا ستصاب بالرعب لو سمعت شابة تسب وتلعن مثل "السوقة" . واعتقد أنه ليس من المفروض أن تنطق النساء بالسباب.

مالت "حنا كوربيت" برأسها جانبا وهي تتأمل كلامه :

- حتى لو سقط صندوق ثقيل على أقدامهن ؟

هز رأسه ونظرة الانبساط لا تغادر وجهه :

- انا لم اسمع عن وجود امرأة تنافس حمّال الميناء في حمل طرد مثل هذا . إنهن عادة ما يسعدن عندما يجعلن الرجال الأقوياء يقومون بأعمالهن .

- وماذا يفعلن إذا لم يكن الرجال متوفرين في الناحية ؟

- ينتظرن حتى يحضر الرجال أو يتركن الطرود مكانها .

- يمكنك إذن أن تحتفظ بقبعتك مكانها وحسب تعبيرك فإنني لا أعد من الجنس اللطيف . ولو كان علي أن انتظر حتى يساعدني الرجل ليبلغ حجم الصناديق إلى السقف ... لانتظرت .

WWW.RWTY.COM

رفع "رايدر" أحد حاجبيه وكأنه فوجئ بأنه جرحها .

- ربما لأنك تحدثت مع الرجل غير المناسب .

ردت عليه بلهجة حادة :

- ربما ! إن النساء العزبات يتعرضن إلى هذا النوع من التفرقة العنصرية . أليس كذلك ؟ أنا أحمل الطرود حتى لو بدا لك ذلك غريبا والأمر والأدهى أنني أجد سعادتي في السب عندما أعمل بطيش .

- أنت موهوبة في ذلك على أية حال . وعلي أن أتذكر ذلك .

نظرت الشابة إلى وسطه القوي وعضلات ذراعيه :

- هل هذه العضلات من أجل الاستعراض فقط أم أنك تستخدمها فيما يفيد ؟!

أجاب :

- أنا أستخدمها .. لماذا تسألين ؟

أشارت "حنا" إلى الصندوق الملقى على الأرض ثم إلى صف من الرفوف الجدارية على بعد ثلاثة أمتار .

- لابد أن أضع هذه الآنية الخزفية هناك .

اقترب منها "رايدر" ومن الصندوق الموضوع تحت قدميها :

- هل تستغلين دائما زبائنك في العمل ؟

- إن الزبائن ليسوا معتادين الحضور إلى المخزن . إن الزبائن دائما على حق داخل الحانوت فقط . أما هنا فانا صاحبة الأمر والنهي.. في الحقيقة أريد أن أعرف هل أتيت إلى هنا لتلومني على طيشي ونزقي أم تريد شيئا آخر ؟

وضع الرجل الطرد على الأرض ثم تمطى قبل أن يدفع قبعته للخلف سنتيمترا واحدا بطرف إصبعه :

- إن صورتك الفوتوغرافية لا توفيك حقك .

قطبت "حنا" جبينها :

- أية صورة ؟

- تلك الموجودة في الدراسة الجيولوجية .

دهشت الشابة وهي تدرك أنها تكرر ما يقوله :

- أية دراسة جيولوجية ؟

- إن جدتك "دون سكايلارك" طلبت منا من ثلاثة أعوام أن نجري دراسة مبدئية عن طبيعة الأرض قبل أن تقرر إن كان هناك بترول أم نحاس في أراضيها .

سألته بلهجة شبه متشككة :

- والآن أنت هنا للمتابعة ؟ لابد أن النتائج كانت مثيرة للغاية حتى إنك تجشمت عناء الحضور هنا .

ابتسم "رايدر" أمام تهكمها :

- أحيانا يجب على المرء أن ينتظر .. لم أكن مستعدا من ثلاث سنوات .

همهمت وهي تهز كتفيها :

- أيا كان الأمر كان لابد من استعجالك . لقد ماتت جدتي من ستة أشهر .

- أعرف ذلك وقد تأثرت كثيرا وحسب التقرير الذي اطلعت عليه يبدو أنها كانت امرأة غير عادية . وكم كنت أود أن أتعرف عليها .

قالت "حنا" :

- نعم كانت غير عادية بطريقتها . وقد أبدو لك فظة ولكن هل يمكن أن تدخل في الموضوع ؟ فإن أمامي الكثير من العمل يا سيد ...

- أنا "رايدر كنج" مالك لفرع شركة "وايلدكات للحفر" من "هوستن" إلى "تكساس" .

مد لها يده اليمنى ليصافحها :

- أرغب في الحديث معك عن امتيازات حقوق الآبار ومناجم النحاس

www.rewity.com

في جزء من الملكية التي ورثتها عن "دون سكايلارك".

ظلت "حنا" تتامل اليد التي لاتزال ممدودة بنفس الحماس الذي يمكن أن تظهره لو طلب منها لمس ثعبان وذلك قبل أن تقرر مصافحته. لقد سبق أن أخبرتها جدتها انه يمكن استنتاج اخلاق الرجل من قوة كفه. كانت أصابعه وكفاه خشنة ولكنها من الرقة بحيث لم تسبب لها أي ألم. ولكن جدتها بالتاكيد لم تخبرها انها يمكن أن تحس بتيار مغناطيسي عندما تصافح يد رجل، ولكن "حنا" كانت تعرف جيدا معنى ذلك التيار. وقررت في الحال أن تطرد ذلك الانفعال.

أدارت له ظهرها ومالت على الصندوق وأخذت منه فازة من الفخار المحروق ولها أذنان مجدولتان. قالت وهي تحاول أن تغير مجرى الحديث:

- اتعشم ألا تكون الرحلة مرهقة وطويلة يا سيد "كنج" لانني لن اسمح لك بالحفر في أرض جدتي.

أجابها في الحال:

- يمكن أن أعطيك أسماء أشخاص موثوق بهم للرجوع إليهم وهم من ملاك الأراضي والذين لا يجدون أي شيء يمس أعمالنا.

وضعت الفازة على الرف وانحنت لتاخذ أخرى.

- وهؤلاء الذين سيتقدمون بشكاواهم .. هل أنت على استعداد أن تدعني أتصل بهم؟

- أنا لن أقابل أي شكوى إلا في حالة عدم العثور على بترول أو معادن.

نظرت إليه ووجدت أن تعبيره لم يتغير إلا أن صوته نم عن توتره. تابعت كلامها وهي تنظر له مباشرة.

- أنت تضيع وقتك يا سيد "كنج" وتتسبب في ضياع وقتي .. إنك لن تحصل على ما جئت تسعى وراءه.

تساءل "كنج": عما يمكن أن يكون عليه رد فعل الشابة لو علمت أنه لا يوجد ما يهمه سوى الامتيازات.

وجد صعوبة بالغة في العودة إلى أرض الواقع.

قال في رقة:

- إن اللوحة الموجودة عند مدخل "بيكون ريدج" تصفها بانها اكثر المدن كرما وترحابا في كل "اريزونا" وكل السكان الذين قابلتهم - حتى الآن بما فيهم أنت - أعتقد أنهم لم يقرءوا هذه اللوحة.

أنا لم أقابل أي مظهر من مظاهر كرم الضيافة منذ وصولي إلى هنا. والناس ينظرون إلي هنا وكاني مصاب بمرض قاتل.

- لو كنت مكانك يا سيد "كنج" لما أحسست شخصيا انني مقصود بهذه النظرات.

لقد تكررت أحداث السطو في الآونة الأخيرة. وعندما يسرق الناس الذين لا يملكون سوى القليل فإنهم يميلون عادة إلى أن يصبحوا متحفزين ومتشككين. وهم عادة يميلون لتصديق أن اللصوص هم من الغرباء ولا يفكرون أن اللص يمكن أن يكون واحدا منهم.

رفع الشاب أحد حاجبيه:

- وهل يبدو علي أنني أحد اللصوص الذين يسطون على البيوت؟

هزت "حنا" رأسها:

- أنت ممن يجلبون المشاكل...

تجهم وكانه يحاول أن يفهم شيئا ما. سألته:

- هل توقفت عند محطة الخدمة في نهاية الشارع؟

رد عليها وقد شاب صوته شك العالم أجمع:

- نعم.. ولماذا؟

- هل دفعت الثمن نقدا أم ببطاقة ائتمان؟

قال وقد بدا نفاد الصبر يظهر في نبرة صوته:

- لقد استخدمت بطاقة ائتمان الشركة.

ذهب عنه ضيقه وتبرمه في الحال عندما فهم ماذا تقصد:

- إذن قرأ عامل محطة البنزين بطاقة المؤسسة وعرف انني احد مديري شركة حفر آبار.

وافقته بإيماءة من رأسها وقالت:

- خاصة لو كان "بيلي شي" هو الذي خدمك... إنه وكالة انباء متنقلة ويكفيه أن يتصل ببائعة هذا المتجر "ديزي" حتى تنشر البروبا جندا النافاجو في كل المدينة.

- البروبا جندا النافاجو ؟

قالت "حنا" شارحة:

- أي أنك لست من أصل إسباني. وكونك مديرا في مشروع حفر آبار لا يكون في صالحك ولكن أن تكون من أصل "أنجلو ساكسوني" أو مشبوها بالسطو يزيد تعقد موقفك. وبعض الجيران أو الاقارب سبق أن تعرضوا لعمليات نصب من بعض الأفاقين من الباحثين عن البترول أو المعادن من غير الشرفاء غير الأوفياء بوعودهم البراقة.

- إنني لا أقنع بالوعود أو بإعطاء ضمانات. وأنا لا أنصب ابدا على الناس. وإذا حالفنا الحظ فإن جميع الأطراف المشتركة تستفيد وإذا انتهى البحث إلى بئر جافة مجدبة فإن مالك الأرض لا يخسر شيئا.

انحنت الشابة لتلتقط قطعا خزفية اخرى:

- إن الأمر لا يعنيني ولا يهمني يا سيد "كنج" واتعشم الا تكون قد قطعت كل هذه الرحلة من "هوستن" من أجل دراسة حدثت من ثلاث سنوات مضت. لقد قمت برحلة طويلة فعلا بلا جدوى.

قرر "رايدر" استخدام طريقة اخرى، كانت عادة تقنع الملاك للأراضي

بالتوقيع. عادة ما يكون الناس لديهم رقم في أذهانهم ويقترح عليهم رقما فلكيا مقابل حق الامتياز ثم مبلغا آخر هو ما ستحصل عليه "حنا" إذا كشفت الحفريات عن وجود طبقات معدنية مهمة. أطلقت صفير دهشة وقالت بعدم اكتراث وهي تضع قطع الخزف كل قطعة بجوار الأخرى.

- إنه مال كثير.

تساءل "رايدر": "لماذا أحس بالخيبة؟ الآن هذه المفاوضات بدأت سهلة جدا." قال:

- ثم هناك المزيد الذي ستربحينه. ففي هذه الحالة لن تكوني مضطرة لحمل صناديق ثقيلة لانك ستصبحين غنية.

أدارت "حنا" رأسها لتتأمله:

- هناك أشكال أخرى للثراء يا سيد "كنج".

ثم وجهت نظرها نحو الستارة وقالت:

- كل شيء سيكون على ما يرام يا "ديزي".. إن ذلك لن يصبح ذا فائدة.

أدار "رايدر" رأسه وفهم ما تريد أن تقوله "حنا" عندما شاهد البائعة وقد وجهت بندقية صيد نحوه. تكلمت المرأة الإسبانية مع "حنا" بلغتها الخاصة.

لم يفهم "رايدر" ما تقوله ولكن من نبرة صوتها فهم أنها ليست مسرورة. كانت تحدجه في غضب وجعلته يفهم بوضوح انه السبب في اعتلال مزاجها وكانت "حنا" تجيبها بنفس لغتها في هدوء وصبر.

أيا كان ما تقوله لموظفتها فقد نجحت في أن تجعلها تخفض السلاح. وحدجت "رايدر" بعض الوقت ثم خرجت من المخزن. استدار نحو "حنا":

- هل تعامل الجميع بهذه الطريقة أم انني حالة استثنائية:

- لقد حدث سطو عندنا في الأسبوع الماضي ؛ ولهذا السبب لا تثق "ديزي" بالغرباء .

للمرة الثانية تدير له ظهرها لتنشغل برص قطع الخزف . إنها بذلك تطلب منه الانصراف . أخذ "رايدر" يتاملها وقد ضاقت عيناه وأخذ يفكر في صمت . تساءل :

هل هو مثار سخرية أم لا ؟ أخذ بضع ثوان ليقرر . لقد أظهر هدوءا وحرصا وتعقلا وإن كان يموت من الضيق والملل . إن "حنا كوربيت" يمكن أن تكون أحسن دواء في العالم. لقد كانت غير عادية بدرجة مذهلة وشديدة الفتنة وغير مملة على الإطلاق .

قصر المسافة التي تفصل بينهما وأخذ قطعة الخزف اللامعة من بين يديها ووضعها فوق الرف بالرغم من أنها أظهرت تلقائيا بعض المقاومة .

- لماذا ظننت بائعتك أن الشخص الذي قام بالسطو على المحل هو بالضرورة غريب عن البلدة ؟ربما كان ذلك المخلوق القذر أحد المقيمين بها ، أراد أن يقوم بمشترياته في غير الأوقات الرسمية للبيع

- ليس من هنا .. لو كان شخصا من المنطقة كان من الممكن أن يسرق طعاما أو نقودا وليس سجادا إسبانيا ولا يمكن أن يأخذ شيئا مما يكون عادة عنده في بيته .

- هل كل ما سرقه اللص سجادة ؟

- إنه سجاد نفيس ويساوي آلاف الدولارات لكل قطعة. لقد كنت أنوي إرسالها إلى "نيويورك" والدفع عند الاستلام والآن لن يحصل النساجون - الذين قضوا أكثر من أربعمائة ساعة من العمل لإعداد السجاد - على المال الذي كانوا سيحصلون عليه عند البيع .

صاح وهو مذهول :

- أربعمائة ساعة عمل ؟

هزت رأسها موافقة :

- دون الحديث عن الوقت الإضافي في جز الخراف وغزل الصوف وصباغته . والسجادة المنسوجة تكون في العادة بها ثلاثون عقدة في السنتيمتر المربع والسجادة طراز "دينا" من النوع الممتاز بها تسعون عقدة في السنتيمتر، وبعض النساجين يقولون: إنهم نسجوا سجاجيدهم بشدة حتى إنها يمكن أن تمنع الماء من التسرب منها وهي تساوي كل سنت أدفعه فيها .

ردد "رايدر" في حيرة :

- "دينا" .. لقد سبق لي أن سمعت هذا الاسم .

- إنها كلمة تعني شعب "النافاجو" الذين هم من أصل إسباني، وهم أصحاب تلك اللغة التي كنت تتحدثين بها ؟

- ليس من اللائق أن أتحدث مع "ديزي" باللغة "الأوزباكستانية" أمامك . وهي تفهم أكثر في لغتها .

ابتسمت "حنا" وهي تتذكر المشهد وقالت :

- لست أدري إن كنت تذكر أم لا . إنها كانت توجه إليك سلاحها في تلك اللحظة ؛ وقلت في نفسي: إنه قد يكون من الأفضل أن أتصرف معك بعدم لياقة من أن اضطر لأحملك إلى المستشفى لاستخراج رصاصة استقرت في جزء من جسدك .

قال بصوت ممطوط :

- أنا شاكر .. كيف تعلمت لغة "النافاجو" ؟ إن أحد المهندسين الذين يعملون عندي والذي يعمل معظم الوقت في "أريزونا" يظن أنه لتسهيل إقامة العلاقات مع الناس - الذين يعيشون في مستعمرات الهنود الحمر الذين نتعامل معهم أحيانا - ينبغي تعلم لغتهم ولكنه نسي الأمر عندما وجد مدى صعوبة تعلم لغتهم .

- هناك بعض الكلمات الإنجليزية ليس لها مقابل في لغة "النافاجو"

وهذا هو السبب في الصعوبة . ولكن هل وجدت صعوبة في تعلم الإنجليزية وأنت طفل ؟

قال :

- نفس الصعوبة التي يجدها الآخرون ولم أجد صعوبة في تعلم الكلمات البذيئة طبعا . ومع ذلك فإنني لا أشير إلى الإنجليزية.

استطرد وهو ينظر إليها:

- أية لغة يمكن تعلمها بسهولة مادمت لا تسمعين سواها وانت طفلة .

كانت ابتسامته ساخرة وكانت عيناه ضاحكتين . قالت :

- أعتقد أنك تعرف ذلك .

- أعرف ماذا ؟

- إنني تربيت على هذه الأرض . إن أمي وجدتي وجدتها ولدن هنا . ولا تقل لي : إنه لم يرد في التقرير الذي قرأته أن الأرض التي تمتلكها جدتي موجودة في أرض "النافاجو" .

قال "رايدر" معلقا :

- تلك الأرض ليست ضمن المستوطنات الهندية، وعندما استأنفت الدراسة للمشروع من بضعة أيام كشفت التحريات أن ملكية الأرض باسمك ولا تقولي لي : إن امرأة لها عينان بلون اللازورد يمكن أن تكون من أصل "نافاجو" بحت .

- إن اخضرار عيني يرجع إلى رجل بقي مدة كافية هنا لأن تنجب منه أمي طفلا .. لقد كان الرجل الذي هو ابي من أصل "انجلو ساكسوني".

كانت تتحدث بصراحة قاطعة وكان من الواضح أنها لا تنتظر اي تعليق. احتضنت الصندوق الفارغ ونقلته إلى نهاية المخزن .

عندما رآها "رايدر" تبتعد أدرك أن الشابة اعتبرت حديثهما منتهيا.

أما هو فلا .. لقد تتبع أثرها ودار حول الرفوف والكراتين المليئة بالعصائر والأغذية المحفوظة وانتهى بأن التقى بظهرها . عندما واجهته. ابتسم لها . كان قد اقترب منها دون ضجة . أما هي فلم تلق نظرة خلفها . لو كانت قد أحست باقترابه فإن ذلك يرجع إلى وجود انجذاب متبادل بينهما . وضع يده على كتفها فتصلب جسدها بطريقة أذهلته . لم تقاوم "حنا" ضغط يده وهو يديرها نحوه . وقفت في مكانها شامخة تواجهه ونظراتها تشتبك مع نظراته في ثبات وشك .

أعلن لها "رايدر" بصوت أجش :

- هل يمكن أن نتقابل هذا المساء ؟

- لا .

- ولم لا ؟

- وما الفائدة ؟ ستحاول إقناعي بأن امنحك امتياز التنقيب وساصر على الرفض فالأمر لا يبدو لي مسليا .

- إنني لا أحاول أن أبدو شاذا ولا أنت كذلك .

مد يده ورفعها نحوها حتى ترى ارتجاف راحته .

- إن لك تأثيرا غريبا علي أيتها الشابة ولست واثقا بانني أحب ذلك ولا أعرف ما هذا الشعور ؟ ولكن ساصل إلى معرفته. بل سنعرفه نحن الاثنان.

ردت عليه ببرود :

- أنت تضيع وقتك ووقتي يا سيد "كنج". ليس من المتوقع على الإطلاق استغلال أراضي جدتي ولا استغلالي .

تملكت "رايدر" رغبة في أن يثبت لها أنها فهمت نياته خطأ . ولكن محاولته إفهامها كانت خاطئة. لقد تعود التصرف من وحي الغريزة . إنه لا يعرفها إلا من عشرين دقيقة ولكنه لا يعرف إن كانت تحس مثله بهذا الانجذاب المجنون . رفع يده من فوق كتفها وهو يحس أنه

يتصرف مثل المراهقين .

أخذت "حنا" نفسا عميقا وأطلقت زفرة طويلة . تساءل "رايدر" إلى أي حد هي مخطئة ؟

قالت بصوت متقطع :

- إنه جنون .. إننا لم نتعرف إلا من دقائق .

كز على أسنانه ليمنع نفسه من ارتكاب حماقة ودس كفيه في جيبيه كوسيلة وحيدة تمنعه من ذلك .

- لدي إحساس اننا سنتعارف جيدا سواء رضيت ام لا .

وجد نفسه غير قادر على تمالك نفسه فاخرج إحدى يديه وربت خدها ونقنها ثم اسقط يده ودار على عقبيه .

عندما اختفى خلف الستارة مدت "حنا" نراعها واستندت على اقرب رف وهي تحس بالضعف بدرجة غريبة .

الفصل الثاني

أخذ "رايدر" يسرع فوق طريق السكة الحديدية وهو يسعل لان الغبار كان يخنقه وهو يدخل من زجاج سيارته المفتوح . عندما وصل إلى إحدى تفريعات الطريق توقف عكس الطريق حتى يتجنب أشعة الشمس وإن لم يكن الفرق ملحوظا . لقد كان الجو حارا حتى في الظل.

كان الطريق على اليسار يؤدي إلى مبنى مكون من طابق واحد ملحق به حظيرة بهائم ، وكان هناك ثلاثة جياد خلف السياج ، وقرر "رايدر" أن هذا هو الإصطبل ، وعن اليمين كان الطريق ينتهي ببيت صغير ، وقدر انه لا يزيد عن خمس حجرات في مجموعه ، ويوجد مبنى مشيد من الحطب والطوب اللبن والذي علم أن اسمه "هوجان" على بعد حوالي عشرين مترا من المنزل ، وكانت أبواب المسكن تواجه الشرق وهي عادة تعودها اهالي "نافاجو" حسب ما قالته صاحبة مقهى "ترويز" . كان "رايدر" قد تعود في اليومين الاخيرين تناول كل وجباته في مقهى

www.rewity.com مرموزية

"ترويز" وقد تولى "تروي" نفسه بإخبار "رايدر" عن عادات وتقاليد سكان "بيكون ريدج".

وقص عليه صاحب المقهى نفسه لماذا سميت البلدة "بيكون ريدج" وهو ما يعني قمة لحم الخنزير المحفوظ. فحسب ما يعرفه انه في القرن التاسع عشر قدر مقاول مغامر من الساحل الشرقي أن "اريزونا" هي المكان المثالي لإقامة مملكة الخنازير - ولما كانت معلومات رجل الأعمال المغامر غير صحيحة فقد أرسل قطعانا من الخنازير عن طريق السكة الحديدية إلى أراض حصل عليها مقابل حفنة من الخبز. كانت النتيجة النهائية للأسف لا علاج لها - وكانت مأساة للرجل الذي بنى مستقبله على الجنس الخنازيري فقد نضبت المياه بحلول الصيف ونفقت الحيوانات بالمئل.

كان "رايدر" يستمع في صبر إلى مختلف حكايات "تروي" ويعجب بمعظمها ويتحمل بعضها في سبيل أن يتمكن من طرح سؤال أو سؤالين عن "حنا".

كان يبتسم في داخله وهو يفكر فيما عرفه من العادات المحلية وعن "حنا" في هذه الأيام الأخيرة. لقد تصاعد اهتمامه بتلك المرأة بشكل مقلق. وعادة عندما يستعلم عن ملاك الأراضي يعتمد على الحقائق الملموسة ولا يهتم بالإشاعات. أما هذه المرة فقد حث الناس على أن يحدثوه عن "حنا" صاحبة البنك التجاري، والذي هو في الحقيقة يعتبر مجمعا تجاريا.

لقد زوده "بيلي شي" ببعض المعلومات حول ماضي "حنا". و"تروي" أضاف بعض التفاصيل الدقيقة وهو يحتسي القهوة معه. طبعا لم يكن "رايدر" يعرف الشابة من وقت طويل ولكنه احس انها لن تحب ان تعلم أن الأحاديث تدور حولها. ولن تحب ايضا ان تعرف انه بقي في المدينة بسببها. لقد حل انبهار شديد نحو "حنا" بدلا من عصبيته

تجاهها. وكان مقتنعا انه سيبقى هنا مادام فضوله لم يرضه.

هبت ستارة من الغبار على الطريق خلفه، ورأى في مرآة السيارة العاكسة بقعة سوداء وسط السحب القاتمة وهي تزداد حجما، ثم تعرف على سيارة جيب ووجه امرأة أمام عجلة القيادة. كانت تعبيرات وجهها قاتمة مثل شعرها. واحس بدفء يسري في دمائه أمام هذا المشهد المهيب، الذي يصلح موضوعا للوحة وحشية وبدائية، وقد أحاطت عاصفة الغبار بها مثل الإعصار.

أخفى "رايدر" ابتسامته عندما تجاوزته "حنا" دون أن تبطئ السرعة التي أثارت عاصفة من الغبار وأحس بانها لم تسعد برؤيته.

ركنت "حنا" سيارتها في مكانها المعتاد أمام الإصطبل، ولكنها لم تخرج في الحال من السيارة. وبفضل عامل التليفون في "بيكون ريدج"، عرفت أن "رايدر" لايزال في البلدة. وعندما ذهب "بيلي شي" في الليلة الماضية إلى المجمع التجاري ليحصل على تموينه المعتاد من العلك (اللبان)، أخبرها أن مقطورة المنقب المتجول واقفة في الأرض الفضاء خلف محطة خدمة السيارات. وبواسطة إنفاق بعض النقود نجح "رايدر" في إيصال التيار الكهربي من محطة الخدمة. ولما كانت الأنباء السيئة تصل بسرعة، فقد علمت أيضا أن القرويين قد غيروا مسلكهم تماما نحوه.

أحست بالغريزة أن "رايدر" استطاع استخدام سحره في نيل ثقة الناس. وعرفت أيضا انه سأل الكثيرين الذين باحوا له بكل شيء. إن هذا لا يسعدها على الإطلاق. ورغم أنهم أقسموا لها انهم لم يكشفوا له عن أمور مهمة فقد ظلت "حنا" متشككة لأنها كانت تجهل: ما الذي كان يسألهم عنه؟

نظرت الشابة في المرآة العاكسة ورأت صورة رجل خلف عجلة قيادته. من الواضح أن أحدهم أفشى له عن مكان إقامتها. ما لم يكن

عنوانها مذكورا في التقرير الذي حدثها عنه "رايدر" يوم التقيا . على بعد كيلو مترين من المجمع التجاري ، كانت تقع املاك جدتها ومن السهل العثور عليها . على اية حال مادام الرجل موجودا هنا فعليها أن تتعامل معه .

كانت الشابة قد أجرت تحرياتها الخاصة وعثرت في ملفات المتجر على آثار تدل على المكالمات التليفونية التي أجرتها جدتها من اجل التفاوض مع "رايدر" . إنه لم يكذب فقد وكلت الجدة شركة "وايلد كات" للتنقيب من أجل القيام بدراسة جيولوجية . ووجدت إيصالا يدل على دفع أجر الدراسة .

مدت "حنا" يدها نحو أكرة باب سيارتها . كان بإمكانها أن تتوارى بسهولة كما كان بإمكانها ان تتخذ طريقها إلى البيت . ولم تكن الشابة تعتقد في يوم ما - وهي في حياتها المنعزلة - أن تلتقي بشاب مليح وغامض وغريب عنها والذي ظهر دون سابق إنذار. لم تتوقع ابدا أن تقابل شخصا مثل "رايدر كنج" الذي اشعرها فجاة بمدى أنوثتها .

اتجهت "حنا" نحو شاحنة "رايدر" رافعة الراس وشعرها يتطاير في الهواء . لقد تعودت مواجهة المشاكل مباشرة. تابعها "رايدر" بعينيه واصبح غير قادر على السيطرة على اضطرابات قلبه . كانت ترتدي "چينز" ابيض وقميصا من القطن مع عقد من اللؤلؤ من عدة ادوار ، وفي يدها عدة أساور من الفضة في نهايتها أسورة مطعمة بالأحجار الكريمة ، كما ارتدت قرطا ضخما برز من بين كتلة شعرها الأسود.

رفعت ذقنها في تحد من المفروض أن يقبله، كان "رايدر" قد اعتزم ان يكتشف سبب افتتانه بهذه الفتاة. لقد رأى نفسه مثل الفراشة التي تدور حول النور. إنه منجذب إلى "حنا" ولابد أن يقهرها باي ثمن .

وقفت الشابة بجوار باب شاحنته وابتسمت في ضعف وقالت متهكمة :

- لا يمكن ان أتصور أنك سقطت هنا بمحض المصادفة .

- انا أعرف ما أفعله ولماذا أفعله .

- هذا - على الأقل - عذر قد يكون مقبولا . لو وعدتني ألا تصدع راسي حول حقوق الامتياز فإنني سادعوك لاحتساء شيء منعش في الداخل .

هبط من مقصورة الشاحنة وانضم إليها وصوت صهيل جواد ياتي من داخل الإصطبل . عندما وصل إلى مكانها أبطأ خطواته وسألها :

- كم عدد الجياد التي لديك ؟

صاحت وهي تتظاهر بالدهشة :

- لا تقل : إنك لم تستعلم عن ذلك ! بعد أن استقصيت من جميع السكان في "بيكون ريدج" عن كل شيء أعتقد أنك لست في حاجة لأن تطرح علي هذا السؤال .

قال لها بصوت ممطوط :

- لم افكر في أن أطرق هذا الموضوع .

- محتمل ! ولكنه موضوع ذهبي . أليس كذلك ؟ لدي ثلاثة جياد . لقد كانت جدتي عندها حوالي دستة وهي تربي أيضا الغنم . وعندما استعدت الجمعية التعاونية لـ"بيكون ريدج" بعت بعض الجياد حيث إنها اصبحت بلا فائدة بالنسبة لي مادمت ساعتني بها بمفردي .

- وهل لهذا السبب نفسه تخلصت من الغنم ؟ لأنك لا تستطيعين أن تعتني بها بمفردك ؟

- جزئيا نعم. إنني لم أكن لأستطيع العناية بالماشية وإدارة المجمع التجاري في آن واحد. لقد كانت الأغنام مفيدة لجدتي فهي تغزل صوفها لتصنع منه السجاد . انا لا أستطيع أن أكون في مكانين في آن واحد .

لاحظ "رايدر" بعض الندم في صوتها ثم استانف الحديث :

- إن أخي الأكبر "ميشيل" يمتلك مزرعة بها جياد في "مونتانا" وهو يندم لاضطراره لبيع أمهارها ولكن هذا أكل عيشه . نحن نقول له دائما مازحين : إنه لابد أن يختار زوجة المستقبل من دم أصيل وأن يكون جلدها حريريا وأسنانها كاملة .

سالته "حنا" وهي تتقدم في الممر المؤدي إلى المنزل :

- نحن ؟

- نحن أربعة فلدي أخ ثان اسمه "تيرنر" وأخت أصغر منا هي "سلفر" .

قالت له بلامبالاة وهي تفتح الباب :

- لقد نسيت أن تذكر والدك الشهير . وحسب ما أمكنني قراءته فإن "كنج نايت" شخصية لا تنسى .

لم يتبعها "رايدر" في الحال إلى الداخل . لقد ثبطت عزيمته بملاحظتها . لقد قلل من قدر ذكاء "حنا كوربيت" . فهو أثناء بحثه عن أصولها كانت هي أيضا تقوم بالتحري عنه وعن اصوله . إنها ذكية وماكرة . ابتسم في داخله ودفع الباب ليدخل . استغرق فترة حتى تعودت عيناه عتمة الحجرة . كانت ستائر الصالون مسدلة بسبب أشعة الشمس مما حجب الكثير من الضوء .

خلع "رايدر" قبعته.علقها على المشجب وبحركة تلقائية دلك شعره المبلل بالعرق ثم مسح الحجرة بنظراته. كانت قطع الأثاث تميل إلى أن تكون عملية ومكونة من أريكة ومقعد منجد ووسائد منفوخة وإن دل مظهرها على أنها تجاوزت عمرها الافتراضي .

كان أول انطباع له هو أن "حنا" لا تشعر بانها في بيتها وإنما تشعر بانها في زيارة لجدتها . ورغم انه من الواضح أن "حنا" تعيش في المكان إلا أنها لم تحاول تغيير طابعه القديم . قطع صوت "حنا" تاملاته.

- إذا تفضلت بالجلوس فإنني أنصحك بالجلوس عند طرف الأريكة البعيد لأنه في باقي الأجزاء قد ضعفت اليايات . كما أن المقعد ذا المساند قد هبط ويمكن أن تغوص وسط الوسائد وخروجك منه يتطلب عملية إنقاذ ... ساعود بعد لحظات .

بينما كان ينتظر عودتها أخذ يعقد مقارنة بين تواضع المسكن والصورة التي رسمها في ذهنه عن "حنا" .

لقد أخبروه أنها تركت مهنتها كمعلمة في "سان فرنسسكو" لتعود إلى "بيكون ريدج" وتتولى العناية بـ"دون سكايلارك" عندما أصيبت بالمرض. كانت قد فقدت أمها وهي في الرابعة من عمرها، وقامت بتربيتها جدتها ، وكان من الطبيعي أن تضحي "حنا" بنفسها وإن كان الكثيرون يعتقدون أنها كانت مخطئة. أما "رايدر" فقد وجد من الطبيعي أن تخلص للسيدة التي اعتنت بها وهي طفلة ولكن ما لم يفهمه فهو : لماذا ظلت في المكان بعد وفاة جدتها ؟ إن مؤهلات "حنا" اكثر بكثير من الاهتمام بمتجر في بلدة صغيرة ضائعة. ومع ما لديها من مؤهلات علمية كان بإمكانها بسهولة الحصول على وظيفة معلمة .

تساءل: لماذا بقيت تزاول أعمالا شاقة في حانوتها ؟ بل إنها تمنح ائتمانا للمعدمين . ولماذا تهتم وتنشغل بما تفعله ؟ بدا يحس بالعرق يتسرب داخل جسمه ، لم يكن هناك فرق ملحوظ بين حرارة الداخل عن الخارج ، كان مجمع التجارة والمطعم مكيفي الهواء، ولكن هنا لا يوجد مراوح كهربائية لتخفيف الحرارة . كان من الواضح- من وجود عدد من مصابيح الكيروسين- أن المنزل غير مزود بالكهرباء .

حتى لا يفكر "رايدر" في الحرارة الخانقة اقترب من الجدار الذي علق عليه بعض الصور الفوتوغرافية وبعض الشُرط الزرقاء الباهتة. كما كانت الميداليات من كل الأشكال والأحجام قد ملأت الرفوف الخاصة بدولاب الكتب. وعندما فحصها عن قرب اكتشف أن كلها محفور عليها

اسم "حنا" وتواريخ مسابقات الروديو التي اشتركت فيها .

استدار عندما سمع خطوات عودتها إلى الحجرة وقد حملت في يديها زجاجتي كوكا مثلجتين . قال قبل أن يسارع بتجرع كمية ضخمة منها .

- شكرا لك .. لقد تصورت خطأ أنه لا يوجد كهرباء بالبيت .

- إنك لم تخطئ . لقد اشتريت مولد كهرباء يمكن نقله قبل أن أغادر "سان فرنسسكو" . أما بالنسبة للماء الجاري فمن حسن حظنا أننا لسنا بعيدين عن شبكة المدينة وإن دفعت جدتي ثمن التوصيلات والتمديدات .

مالت "حنا" برأسها جانبا وابتسمت له في مكر :

- وهذا أيضا ما لم تعرفه عن طريق تحرياتك .

- واضح أن مصادري الخاصة تنقصها الدقة .

ألقى نظرة نحو الميداليات والشُرط وقال :

- مثلا لم يخبرني أحد بانك كنت بطلة في الروديو .

وجهت الشابة نظرات سريعة نحو الصور المعلقة فوق الميداليات وقالت :

- لم تكن جدتي تحب اشتراكي في مسابقات الروديو ولكن كما ترى إنها احتفظت بكل مقالات الصحف التي ظهرت فيها صوري وكذلك الميداليات والشُرط التي ربحتها طوال تلك السنوات .

أشار "رايدر" بطرف زجاجته نحو إحدى الصور :

- إنك تبدين في تلك الصورة وأنت في غاية البهجة .

- لقد هزمت "نيسا تورمنهيل" في هذا اليوم واضطرت لأن تعطيني أعز شيء لديها وهو منشفة تذكارية لـ"باستر إيجلفاذر" فقد راهنا عليها قبل الجولة .

- ومن "باستر إيجلفاذر" هذا ؟

- لقد كان ملك الروديو في ذلك الوقت وحلم كل الفتيات . لقد كان فاننا بدرجة لا تصدق وقد وشم على ذراعه صورة ريشة نسر وكان في مشيته يثير حسد النسور .

قال "رايدر" وهو يلقي نظرة على الصورة الفوتوغرافية :

- إنك شديدة الغرابة: فارسة روديو وأستاذة معلمة وسيدة أعمال لعدة مراكز مهمة... إنك إعصار متحرك.. هل أنت مهتمة أيضا بأعمال الطهي ؟

همست "حنا" :

- أرى أنك لم تضيع وقتك سدى .. كيف عرفت أنني مؤهلة علميا في الطهي ؟

أجاب بسهولة وهو سعيد بأن يرى توترها :

- إنه "بيلي شي" في محطة الخدمة . لقد أخبرني أنك تعلمين الكبار القراءة انتظارا لخلو وظيفة في الجامعة في "ميني فارمز" . كما قال لي أحد رواد المطعم : إنك قمت بالتدريس في "كاليفورنيا" مدة أربع سنوات وأنك عدت لتعتني بجدتك وأنك فضلت البقاء هنا بعد وفاتها .

- إنني أتصور أنك تفضل الإنصات إلى رواة الحكايات في محطات الوقود أو في المقاهي والمطاعم . ومع ذلك فإنني أعترف أن ذلك لا يسعدني .

- أنا أعرف ذلك تماما .

- رغم أن "بيلي شي" ثرثار إلا أنني لا أعتقد أنه وثق بك في الحال .. ومعنى ذلك أنك استجوبته. لماذا ؟

- لنفس السبب الذي دعاك لإجراء تحرياتك عني . إنه مجرد فضول خالص !

هزت الشابة رأسها :

- إذا كنت قد تحريت عنك فإن ذلك لأنني كنت أريد أن أعرف مع من

سأتعامل ويمكنك أن تسمي ذلك كما تحب، إنه نوع من الإلهام النسائي أو افتراض محسوب ولكنّ لدي إحساس أنك لا تستسلم بسهولة .

- يجب على المرء دائما أن يثق بغرائزه وهذا ما أفعله . ولكنك لم تجيبي على سؤالي : هل تميلين إلى الطهي ؟

ردت عليه بحدة وحزم :

- لن أذهب للعشاء معك يا سيد "نايت" !

رد بابتسامة واسعة :

- "رايدر" .

قالت "حنا" : إنها يمكن أن تركب رأسها وتصر على إيجاد مسافة آمنة بينهما عن طريق اللجوء إلى التقاليد الاجتماعية ، ولكنها كانت تعرفه الآن بما يكفي . إنه لن يدعها تفعل ذلك .

- إن ردي هو نفس الرد .. ليس لدي وقت لهذه الأمور الاجتماعية .

- إنني لا أعرض عليك الذهاب لاحتساء الشاي وإنما أفضل تناول وجبة من شرائح اللحم مع السلطة .

- حتى لو أعجبتني الفكرة وهذا ليس صحيحا فإنني لا أستطيع ذلك . فأمامي الكثير لأنجزه .. دروس أحضرها ونسخ أراجعها وأصححها والجياد لأطعمها وحسابات مجمع التجارة .

- إن الأرض لن تتوقف عن الدوران إذا لم تفعلي ذلك هذا المساء .

- ربما لا .. ولكني سأضطر لعمل ذلك غدا ، ثم إن لدي برنامجا مشحونا .

قال بهدوء :

- ولكنك لابد أن تجدي وقتا للعشاء .

- سألتهم ساندويتشا بعد أن أقود الجياد إلى الإصطبل .

أخذ "رايدر" يفكر في ردها فترة طويلة ثم هز رأسه :

- حسنا .

أخذ كعبا حذائه البوت يرنان بصوت عال وسط السكون وهو يتجه نحو شماعة المعاطف. أخذ قبعته ووضعها على رأسه وقد مالت حافتها للأمام. وضع يده على أكرة الباب ثم استدار نحوها.

- ألن تصحبيني ؟

- ألم تسمع إذن ما قلته لك ؟ لن أذهب معك .

- لقد اعتقدت أنك ترغبين بدء العمل بسرعة .

- سأهجم على العمل فور خروجك .

- أوه .. حسنا .. إذن ستتأخرين كثيرا يا "حنا" لأنني لن أرحل.

ردت عليه في حنق :

- من الواضح أنك تعاني مشكلة في السمع . لقد قلت لك : إن لدي هذا المساء ما يكفي من العمل بحيث لا أستطيع أن أدخل معك في محاضرة حول حقوق الامتياز .

- إن سمعي حاد وساقوم بمساعدتك وبذلك يمكنك أن تنتهي من أعمالك بسرعة .

فتحت الشابة فمها للاحتجاج ولكنه سبقها وهو يبتسم :

- إنني سأتقدم بضعف السرعة وبذلك يتاح لك وقت تمنحينني إياه.

نسيت "حنا" عصبيتها لأنها فكرت في الطريقة التي يمكن بها أن يساعدها في الإصطبلات . إنها عادة ما تنظفها أثناء عطلة نهاية الأسبوع ولكن من أجل "رايدر نايت كنج" ستغير الموعد وستخرج عن القاعدة. ابتسمت له ومرت أمامه وخرجت :

- ما رأيك في روث الجياد ؟

رد "رايدر" وهو غير متأكد إن كان سيعجب بالسؤال التالي أم لا .

- لا أعرف عنه الكثير !

لم يثق أيضا بابتسامتها. سألته في مكر :

- وما رايك في رفع ذلك الروث بالمدراة ؟

تحولت انظار الشاب بعيدا عنها إلى الإصطبلات :

- لابد أن أعترف بانني أحمد لك عدم وجود أغنام عندك فانت قادرة على أن تطلبي مني أن أجزّ صوفها .

- إن ذلك كان كافيا للقضاء عليك .

- إن تنظيف الإصطبلات كفيل بإتمام ذلك . هل من تقاليد "النافاجو" جمع روث الجياد من أجل مغازلة المرأة ؟

نظرت إليه في الحال :

- مغازلة ؟ كيف خطر ذلك ببالك ؟ إن لديك فكرة واحدة في رأسك يا سيد "نايت" هو أن أمنحك حق التنقيب في أرض جدتي . إنك تحاول أن تخدعني وتلين رأسي بأن تبدو مفيدا ولكنك مخطئ.

اعترف "رايدر" :

- هذا صحيح جزئيا . ولكني أفعل ذلك حتى أرحل بسرعة . إنني جائع جوعا مميتا !

اضطر لرفع ضلفة الباب سنتيمترات حتى يتمكن من فتحه لأن المفصلات كانت في حاجة لتثبيت . سألها :

- الا يساعدك أحد إذن ؟ لديك من العمل ما يحتاج إلى عمل رجلين مدة شهر بلا انقطاع .

- أو امرأتين .

- نعم أو امرأتين .

ردت :

- لا .. لست في حاجة إلى مساعدة .

كان "رايدر" يعلم انه في وضع لا يسمح له بأن يسدي لها النصيحة ولكن ذلك لم يمنعه . إنه يستطيع التسلل إلى حياة أي شخص بوسائل مختلفة . لقد ارتكب غلطة عندما تاملها .. لقد راى الشابة

واقفة هناك وقد باعدت بين ساقيها ووضعت يديها في وسطها وبدا الجو مشحونا حولها وهي واقفة في كبرياء وفتنة وسحر لا يقاوم . لم يكن يعرف إلى متى سيقاوم . همهم كلاما غير مفهوم .

- ماذا تقول؟

- إذا كنت تظنين حقا انك تحتاجين لمساعدة فانا موجود هنا من أجل ذلك . اذهبي إذن واهتمي بحساباتك وساقوم انا بالعناية بالجياد بعد ذلك سنستعد للعشاء وتستانفين بعدها الهجوم علي ولكن حاليا اللحظة غير مناسبة .

- ولم لا ؟

- ليست هناك اي فرصة الآن . يجب ان يقوم كل منا بالعمل بعيدا عن الآخر. لانك لو صحبتني إلى الإصطبل فلست ادري إن كنت ساقاوم رغبتي في أخذك بين ذراعي .. فما رايك ؟

لم تجبه في الحال وغامت عيناها الخضراوان وأصبح من الصعب سبر أغوارهما . أحس "رايدر" أنه موضع فحص وقياس حسب معايير غير واضحة وكان على استعداد للتنازل عن اي شيء في سبيل قراءة افكارها . سالته :

- ماذا تعرف عن الجياد ؟

- أعرف عنها ما يكفي لتغذيتها وتنظيف إصطبلاتها ويوجد جياد في "كنتاكي" حيث نشات وكذلك في بريطانيا العظمى . ثم إن أخي يربيها في مزرعته في "مونتانا" إذا كنت تذكرين انني ذكرت ذلك . وعندما اقوم بزيارته يشركني في العمل فلا تخشين شيئا وليس هناك اي خطر على الجياد ولا عليّ .

رضيت "حنا" عندما علمت انه ليس من الهواة فاعطته بعض التوجيهات ثم عادت إلى المنزل .

ظل "رايدر" يراقبها إلى أن اختفى ظلها داخل البيت . دس يده

بطريقة تلقائية في جيب بنطلونه وأخرج إيصال سداد ثمن غدائه. أخذت أصابعه في مهارة تطوي الورقة وتفردها إلى أن صنع منها ضفدعا صغيرا أخذ يتامله . كانت الحكايات الخرافية تحول الضفدع إلى أمير عندما يتلقى قبلة من الأميرة الحسناء ، أما هو فكان لديه إحساس انه لن يتحول إلى أمير لو قبلته "حنا" ولكنه على أية حال لو حدث ذلك فإنه سيتغير لا محالة .

كانت المائدة الصغيرة في حجرة "حنا" محملة بالكراسات المطلوب تصحيحها وببعض المذكرات حول محاضراتها. كانت المائدة مثل بقية أثاث البيت قديمة ومتهالكة وعفا عليها الدهر وفي حاجة ماسة إلى استبدالها . ومع ذلك فإن تجديد الأثاث أو استبداله لا يدخل ضمن الأولويات الملحة . لقد هبطت مدخراتها إلى العدم منذ أن سوت ديونها مع الولاية التي ورثت فيها الأرض. والمهلة التي منحوها إياها كي تدفع بقية المبلغ لا تزيد عن ثمانية أشهر. كان المبلغ ضخما ولكن يمكن تدبيره .

غير أنها لن تستطيع أن توفر شيئا إذا استمرت في التعامل بالأجل مع العملاء . وكانت "حنا" تامل في بيع الحلي الفضية التي تعلمت صناعتها كي تغطي العجز .

دفعت مقعدها للخلف ونهضت واتجهت إلى النافذة وأخذت تنظر نحو الإصطبلات. لم تكن الجياد في السقيفة . إذن نجح "رايدر" في إعادتها إلى الإصطبلات . من الواضح أن لديه خبرة أكثر مما صرح به . كان أحد جيادها المدعو "جوبيتر" يبدو دائما حرونا يقاوم عودته إلى الإصطبلات .

عضت الشابة شفتها وهي تعيد التفكير في السبب الذي أعادها إلى "بيكون ريدج" . لقد أحست بالندم لأن "رايدر" عرض عليها هذا المبلغ الضخم من أجل السماح له بالتنقيب في أرض جدتها في أول لقاء

لهما. إن هذا المبلغ كاف لأن تحصل على الحرية من الديون المالية وضرائب التركات وإعادة تجديد بيتها وإصلاح أسقف الإصطبلات وتوصيل الكهرباء ولكن قبولها سيترتب عليه مشاكل هي في غنى عنها.

أوشكت الشمس أن تختفي عند الأفق ولكن الجو لايزال حارا . ولكن إحساسها بالرجفة كان راجعا إلى ما شعرت به من خوف ورغبة وتوتر وهي تفكر في "رايدر" .

عندما رأت "رايدر" في إطار باب المخزن أحست بتحذير خفي وغريب. لقد حذرتها غريزتها أن هذا الغريب ممشوق القوام سيقلب حياتها رأسا على عقب. بعد لقائهما الأول حاولت أن تقنع نفسها أن خيالها جمح بها حتى وصلت إلى حد شبه القناعة أن تقترب منه وتكتشف سر البريق الأزرق الذي ينبعث من عينيه .

قالت في نفسها : إنه كان أكثر صدقا منها . وهي لا تشعر بالتوتر لأنها تنكر انجذابها نحوه ولكن ما يزيد اضطرابها أنها توشك أن تستسلم لهذا الانجذاب. ثم ألم تأخذ درسا مما حدث لأمها ؟

لقد علمتها جدتها على مدى سنوات طويلة أن هناك أمورا لا سيطرة للبشر عليها . وإنما القدر له نصيب فيها .

عاد انتباه "حنا" يتركز مرة ثانية على الإصطبلات عندما خرج "رايدر" وأغلق ضلفتي الباب ثم تقدم في خطوات سريعة نحو الكوخ وهي تراقبه في إعجاب برشاقته ورجولته الطبيعيتين. وعندما أصبح قريبا من النافذة - بحيث يستطيع أن يفاجئها وهي تنظر إليه - أشاحت ببصرها في الجهة الأخرى. قد لا تستطيع حقا أن تغير القدر ولكنها تستطيع أن تؤخر مسار الأحداث . إنها تحتاج لوقت لتفكر وترتب أفكارها . إنها لن تسمح لنفسها بتكرار غلطة أمها ولا دخل لذلك بالناحية المالية .

خرجت إلى عتبة الباب بينما اقترب "رايدر" من البيت وعندما اغلقت الباب وراءهما سالته :

- هل واجهت صعوبات ؟

اقترب الشاب منها إلى أقل من متر :

- إن جيادك ستنام في هدوء وقد شبعت وعولجت جروحها في انظف إصطبلات في المدينة كلها .

- شكرا .

مدت له يدها لتصافحه . تامل "رايدر" اليد ولكنه لم يمسكها . رفع راسه ببطء وابتسامة جميلة زادت رقة ملامحه وقال :

- لم يكن من الواجب أن أتركك بمفردك كل هذا الوقت . الم ترغبي في ان تظهري حريصة وأن تتخلصي مني ؟

ردت عليه بلهجة مرحة :

- يمكنك أن تظن ما تشاء . لم اكن لامزح عندما قلت : إن امامي عملا لابد من إنجازه .

قرر "رايدر" أن يمسك يدها اخيرا وسعد عندما لاحظ انها كتمت انفاسها عندما احاط كفها بكفه . قال برقة :

- إن كل ما فعلته مجرد تاخير المحتم .. انا لست اعمى لقد انجذب كل منا للآخر ولا تملكين امام ذلك شيئا تفعلينه !

- ليس معنى إظهار انجذاب بسيط نحو شخص ما يعني انني وقعت في هواك يا "رايدر" . وإذا كنت قد اعطيتك هذا الانطباع فقد كان ذلك رغما عني .

- ولكني لا اقع عادة في غرام كل النساء اللاتي اقابلهن .. ولكنك استثناء عن القاعدة .

قالت :

- حسنا .. شكرا ولكن عليك ان تلاحظ ان رحلتك لم تتمخض عن

شيء . ولن اسمح لا اليوم ولا غدا ولا بعد ستة اشهر ان يعتدي على أرض جدتي أحد . ولست أيضا تحت أمر أول راعي بقر ياتي لي. هل يمكن أن تترك يدي يا سيد "نايت" لانه لابد من عودتي لتصحيح الكراسات وساتركك لتنطلق في مغامرات جديدة.

راى "رايدر" القتامة تسود عينيها. لا شك ان الرغبة الشيطانية تملكتهما ولكنه في تلك اللحظة أحس انه الشيطان نفسه . قال لها :

- لو أن لديك نية أن تقبليني قبلة الوداع فلتفعلي ذلك بطريقة مقبولة.

إنه يحس بانجذابها نحوه. إنها تحس بنقلص في معدتها ، إنها تمثل كل أحلام صباه ومراهقته .

بذل جهدا جبارا حتى يتغلب على نفسه ونظر إلى أعلى رأسها حتى يبعد عينيه عن عينيها. إنه لا يجرؤ على النظر إليها . دار نصف دورة واتجه نحو شاحنته .

اخذت "حنا" تراقبه إلى أن استقر في مقصورة شاحنته ، وعندما ابتعد وابتلعت عاصفة التراب الشاحنة اغلقت عينيها لتهدئ من سرعة لهاثها وضربات قلبها . كانت تعلم أن "رايدر" سيعود .. ليس من أجل امتياز التنقيب فحسب وإنما أيضا من أجلها. وعليها أن تقرر ما ستفعله عندما يعود لانها شبه واثقة بما سيفعله هو .

الفصل الثالث

شدت "حنا" كم قميصها لتداري الشريط الذي تلفه حول رسغها، عندما لمحت "رايدر" مستندا على الجدار الخارجي لمجمع التجارة . لقد مر ثلاثة أيام لم تره فيها ولكن ذكرى آخر لقاء لهما لم تغادر ذهنها .

عندما رأته يضيق فتحتي عينيه عرفت انها تأخرت في إخفاء جرحها ، فقد رأى الضمادة وفهمت من ضغطه على شفتيه ونظرته السوداء أن مزاجه معتل . وهي أيضا لم تكن في حالة طيبة . بدأ الحديث كئيبا ولكن في الحقيقة كان من المستحيل الإفلات منه . صعدت درجات المحل وبدا البنطلون الجينز محشورا فوق الحذاء البوت المصنوع من الجلد الطبيعي ثم ابتسمت له في أدب :

- صباح الخير يا سيد "نايت" لقد اعتقدت انك رحلت إلى "هوستن" .

ابتعد "رايدر" عن الجدار واقترب نحوها وكان عليه أن يتخطى العديد من الأشخاص المنتظرين تحت الشرفة قبل أن يجد نفسه في مواجهتها ويقطع عليها الطريق .

قال بلهجة جافة وهو غاضب :

- اللعنة .. ولكن أين كنت ؟

ردت عليه بخشونة :

- وأنا كذلك سعدت برؤيتك .

- لا داعي لأن تمثلي دور المهذبة يا "حنا" فلست مستعدا لذلك .

- هذا واضح !

- أريد أن اعرف أين كنت الأيام الثلاثة الماضية ؟

رفعت أحد حاجبيها . إن مسلكه الشرس بدأ يضايقها :

- وما الذي جعلك تعتقد أن ذلك من شأنك ؟

أمسك بذراعها وهي تحاول أن تبتعد عنه :

- لقد أوشكت أن أجن قلقا عليك .

فشلت بعد عدة محاولات في تخليص نفسها ، ولم يعد أمامها سوى الدفاع عن طريق الكلام :

- إنني أجد أن كلمة جنون لائقة تماما .

واصلت شرحها بصوت منخفض حتى لا يلحظ أحد ما يجري ولكنها لم تفلح في كبح جماح غضبها :

- لابد أنك فقدت صوابك تماما يا "نايت" ، وليس لدي الوقت لأساعدك على استعادته ، ولست أذكر أنني طلبت منك رعايتي . أين أذهب أو ماذا أفعل ليس من شأنك .

أمسك "رايدر" الشابة من مقدمة ذراعها وقال :

- لن أجد صعوبة في أن أوضح لك أن لي الحق في العناية بك وأن أقلق عليك خاصة عندما تعودين ورسغك مصاب .

ذهلت "حنا" تماما حتى استدارت عيناها وهي تعلم أن "رايدر" قادر على أن يسبب لها فضيحة علنية . ثم إنها أحست بأنها غير قادرة على مقاومة سحره رغم شراسته . وعندما تذكرت "حنا" ما عانته أمها

اضطربت بعمق للتحول الذي طرأ على أفكارها.

سمعت صوتا يرتفع خلفها في سرور ولم تجد وقتا لترد عليه :

- كيف تسمي هذا المنهج يا "رايدر" ؟ منهج رجل الكهف ؟ عندما تعرف "رايدر" على الرجل الواقف على بعد أمتار منهما صاح في دهشة:

- "چو اندرهيل".

كان الرجل في مثل ضخامة "رايدر" واقوى منه جسدا. كشفت ابتسامته عن أن أسنانا ناصعة البياض ظهرت واضحة وسط بشرته الداكنة . ومع ذلك عندما شاهد الزحام الذي بدأ يتكون اقترب منهما وعيناه عابستان . نظر "رايدر" إليه وهو لايزال ممسكا بـ"حنا" :

- يا إلهي ! لقد مرت سنوات عديدة .

- كثيرة جدا .. أعتقد أنه من الأفضل أن تترك الآنسة "حنا" يا "رايدر" الا ترى أنك تواجه خطرا داهما .. إنهم أكثر منك .

تحير "رايدر" أمام هذا التحذير الهادئ .

كان ثمانية أشخاص بأطوال وأعمار مختلفة يحيطون بهما - هو و"حنا" - وقد بدا انهم كبار في السن واقوياء وقادرون على تسوية الحساب معه .

في الحقيقة لم يكونوا ليجدوا صعوبة في كسر ظهره دون أدنى اهتمام . ولما كانت نظراتهم الشريرة متجهة نحوه فقد فهم أن هؤلاء الناس غاضبون منه لأنه أمسك بـ"حنا" . ترك ذراعها وهو مغتاظ لأنه تركها ولكن ما باليد حيلة .

انتهزت "حنا" استعادتها لحريتها لتستدير وتتجه لمقابلة "چو" و"رايدر" يتبعها . نظرت لكليهما وقالت بلهجة عدم تصديق :

- هل يعرف كل منكما الآخر ؟

رسم "چو" ابتسامة . وقال :

- لقد كنت سأسأل نفس السؤال. إن "رايدر" بحظه السعيد في لعب الورق استطاع أن يمول دراستي حتى إنني تساءلت: هل تعمد الخسارة لأنه كان يعلم أنني في حاجة إلى ذلك المال ...؟

وضع "رايدر" ذراعه على كتف "حنا" في حركة تملك ثم مد يده الأخرى لمصافحة "چو" قائلا :

- لقد كنت الشخص الوحيد القادر على إصلاح جهاز الحفر وبعد رحيلك اضطررت لشراء جهاز آخر .

صافح "چو" "رايدر" بقوة ثم استدار نحو الرجال الذين أحاطوا بهم في إصرار ، وإن كانت ملامحهم رقت بعض الشيء ، ثم قال بعض الكلمات غير المفهومة وان فهمتها "حنا". أحس "رايدر" أنها تنكمش تحت ذراعه التي فوق كتفها . همس متسائلا:

- ماذا يقول ؟

أدارت الشابة رأسها وقالت :

- إنه يقول : إنك صديق .. صديق ممتاز وإنني لا أشكو . وإنه يجب أن يعاملوك كأخ .

قال بصوت ممطوط :

- هذا ينطبق على "چو" وليس عليك يا عزيزتي .

ابتعد الرجال ووقف بعضهم بجوار شاحنة ، والآخرون أخذوا مجلسهم تحت مظلة شرفة مجمع التجارة الأمامية ، بينما وقفت "ديزي" وفي يدها البندقية على مدخل المحل استعدادا للحاجة لقوات دعم إضافية .

حرك "رايدر" رأسه وقد بدا عليه الانبساط وقال لـ"چو" :

- يوجد هنا ما يمكن أن يصيب الإنسان بالجنون .

أجاب "چو" وهو يمسك بـ"حنا" من ذراعها :

- إن القرويين لا يثقون بالغرباء خاصة عندما يحومون حول

نسائهم . هيا بنا نحتسي القهوة . وبهذا يمكنك ان تقص علي ما فعلته خلال السنوات الأخيرة وفي نفس الوقت سيهدأ الرجال وهم يروننا نحن الثلاثة معا .

سار "رايدر" بجوارهما وسأل "چو" :

- هل هذا خاتم زواج الذي تضعه في إصبعك ؟

- نعم .. لقد تزوجت بأحسن صديقات "حنا" وهي "نورسنجر" بعد أن انتهيت من دراستي .

- إذن أنت لست في حاجة لأن تمسك "حنا" من ذراعها .

ابتسم "چو" وترك ذراعها . ودت "حنا" أن تشرح لـ"چو" أن كل الحقوق التي يدعيها "رايدر" عليها إنما هي محض خياله . وتساءلت : لماذا هي صامتة ؟

اتجه "چو" في المقهى إلى مائدة وسط القاعة في حين أن معظم الموائد بجوار النافذة كانت خالية. كان "رايدر" يعرف لماذا يتمسك "چو" بالجلوس وسط القاعة ولكنه لم يكن يرغب في إثارة المشاكل ، وبصفة عامة كان يهزأ باراء الناس ومع ذلك في هذه الحالة بالذات كان "چو" يحافظ على سمعة "حنا" وكان "رايدر" مثلهما يتجاهل نظرات الفضول المركزة عليهم. حين جلس سأل الشابة :

- ألا تريدين أن تقصي على "چو" ما حدث لذراعك وسبب اختفائك الأيام الثلاثة الماضية ؟ أنا واثق بأن ذلك يهمه مثلي .

غاصت "حنا" في مقعدها وابتسمت وقالت :

- من الأفضل أن تخبراني كيف تعارفتما ؟

حول "چو" نظره نحو الساقية الجالسة فوق مائدة تسلم الطلبات واشار بثلاثة اصابع فهزت راسها موافقة ثم القى نظرة على "حنا" وقال :

- لقد حدث ذلك بفضل "دون سكايلارك" فبفضلها . قابلت "رايدر"

ورأت أن بإمكاني أن أعمل معه .

صاحت "حنا" وقد اتسعت عيناها دهشة :

- جدتي ! إنها لم ترتبط بشركة "وايلدكات" للتنقيب إلا من ثلاث سنوات فكيف حدثتك عن شركة "رايدر" ؟

عقد "چو" ذراعيه على صدره وواجهها في هدوء :

- لو أرادت جدتك أن تعرفي ذلك لأخبرتك .

- لا تمثل علي دور الرجل رابط الجاش أيها الهندي بائع السيجار يا "چو أندرهيل" . يمكنني أن أكشف لـ"نورا" اسم من سرق منها الملابس عندما ذهبت لتستحم في خليج "سنجر" .

- إنك لن تفعلي هذا .

- بل سأفعل .

أسقط "چو" ذراعيه إلى جانبه .

- إنه ابتزاز !

اعترفت وهي تبتسم :

- فعلا وستسعد "نورا" عندما تضع يدها على من أجبرها على العودة فوق الجواد وعلى جسدها غطاء خشن بدلا من الملابس . وتصور ما الذي ستفعله عندما تكتشف أن زوجها هو المذنب ...

- لم نكن قد تزوجنا بعد .

- أعتقد أن ذلك لن يغير من الأمر كثيرا فإنك على أية حال ستقضي بضع ليال في مخزن الحبوب عندما تعرف .

تحول نحو "رايدر" وقال :

- من حقك أن تتدخل !

- لا مجال لذلك . إنني أشعر بفضول أن أعرف مثل "حنا" كيف حدث أن عملت معي . لقد اعتقدت أنك تقدمت بناء على الإعلان الذي نشرته في الجريدة فلم يسبق قبلها أن قابلت جدة "حنا" . ولم أعرف إلا في

الأسبوع الماضي اسمها عندما عثرت على الملف فوق مكتبي . لماذا أرادت "دون سكايلارك" أن تعمل أنت معي ؟

شاب التردد عيني "چو" الداكنتين ثم قال :

- أعتقد أن ذلك لا أهمية له ..

أجاب "رايدر" و"حنا" في نفس واحد :

- ما الذي لا أهمية له ؟

نظر إليهما "چو" نظرة غيظ ثم أعلن :

- إنكما لا تحمدان أبدا المعروف . كان الأحرى بي أن أهتم بشؤوني وأدع هؤلاء الناس يطردونكما من المدينة وستريان أنني أبدا لن ...

قال الاثنان في صوت ونغمة واحدة اسم "چو" فقال وهو يتنفس وكأنه شهيد :

- حسنا .. موافق .

اقتربت الساقية من المائدة .. أبرز ثوبها الواسع عليها كتفيها العاريتين. وزعت أقداح القهوة الساخنة وكأنها توزع أوراق اللعب. قالت "حنا" للساقية وهي تهز رأسها استغرابا :

- لو أن "تروي" متمسك بأن ترتدي هذا الثوب يا "دونا" فعلى الأقل كان عليه أن يمنحك واحدا على مقاسك .

- إنه أنيق .. أليس كذلك ؟

هزت الساقية كتفها ولكن رباط الثوب انزلق مرة ثانية مما جعل "حنا" تخفض صوتها لتقول لها :

- إن زوجة "تروي" تقول : إنه اشترى هذه الثياب في صفقة بثمن لا يقبل المنافسة . والمشكلة أن كل الثياب كانت من مقاس واسع جدا أو "بلغة المهنة "إكس لارج" .

رد "چو" :

- إنه من أعمال "تروي" لا شك .. أريد لبنا يا "دونا" .

- أمرك .

سارعت الساقية خلف مائدة تقديم الطلبات وعادت بسرعة ومعها اللبن .

سألت وهي تتجه إلى مائدة أخرى :

- هل تريدون شيئا آخر ؟

تباطأ "چو" في صب اللبن . وعندما رفع رأسه رأى "حنا" تمد له السكرية و"رايدر" يناوله ملعقة حتى يساعداه على الإسراع . ابتسم في عصبية وأمسك بما قدماه . وضع السكر في اللبن ثم قلبه وبدا يقص :

- لقد حلمت أن أصبح مدرسا من اليوم الأول الذي فتحت فيه كتابي الأول. لم يكن لدى والدي إمكان إرسالي إلى الجامعة ولا توجد أي وظيفة في المنطقة تعطي أجرا سخيا أستطيع به أن أدخر مصاريف الدراسة حتى لو عملت أربعا وعشرين ساعة في اليوم في الصيف. وفي ليلة اليوم الذي كنت سألتحق فيه بالجيش وهو الحل الوحيد أمامي جاءت "دون سكايلارك" لزيارة أمي. سألتها : هل أستطيع أن أحل محل شخص صديق في أداء الخدمة العسكرية في الحال ؟ وأنها ستدفع لي ما يمكنني من الالتحاق بالجامعة في الخريف التالي وربما سيعفيني بعد ذلك من الخدمة العسكرية .

سألته "حنا" :

- ومن ذلك الصديق ؟

نظر "چو" إلى "رايدر" وقال :

- إنه "كنج نايت" .

صاحا في نفس واحد :

- "كنج" ؟ والد "رايدر" ؟ أبي ؟

قالت "حنا" :

- أنت مجنون ! جدتي لم تكن لتعرف والد "رايدر" .

- لقد تعارفا عندما كان "كنج" شابا و"دون سكايلارك" تعرف أمه من وقت طويل .

رفع "چو" يده ليمنعهما من الصياح في نفس واضح .

- لم أكن لأعرف كل التفاصيل وقد سمعت أن الأخ الأكبر لـ"كنج" كان طائشا بعض الشيء وهو شاب وأن أمه التي هي جدتك يا "رايدر" - قد أرسلته إلى "دون سكايلارك" لتعلمه مبادئ وأخلاق الحياة . كانت المرأتان - جدتك يا "رايدر" وجدة "حنا" - تذهبان إلى المدرسة معا من زمن بعيد وظلتا صديقتين .

تحولت "حنا" نحو "رايدر" الذي بدا مذهولا مثلها .

- هل كنت تعرف ذلك ؟

هز رأسه ببطء وقال :

- أتذكر أن "كنج" قال : في الحقيقة إن أمه دخلت المدرسة الداخلية أثناء رحيل والديها إلى مصر ولكني لم أتذكر المكان الذي تقع فيه المدرسة .

حاولت "حنا" أن تستحث ذاكرتها :

- أتذكر أنني رأيت صورة لجدتي عندما كانت شابة وكانت معها في الصورة فتاة في السادسة من عمرها من أصل "أنجلو ساكسوني" وكانتا متعانقتين . وعندما سألتها : من الفتاة التي في الصورة ؟ قالت: إنها أختها وسألتها: هل هذا ممكن ؟ فقد كانت طفلة وحيدة والصغيرة الأخرى لم تكن من شعب "النافاجو" . حدثتني جدتي عن أول يوم ذهبت فيه إلى المدرسة الداخلية . وكان الناس داخلها يتحدثون لغة غريبة عليها وأرادوا أن يحلقوا لها شعرها وينظفوها بالكيروسين خوفا من أن يكون بها قمل أو جرب وقد منعتهم فتاة من أصل "أنجلو ساكسوني" وقالت جدتي :

- إن تلك الفتاة ظهرت كالبرق لإنقاذها من ذلك الإذلال ولذلك

اعتبرتها جدتي أختا لها . لا بد أنها كانت جدتك يا "رايدر" .

هز "رايدر" كتفيه :

- الشيء الوحيد الذي أذكره بالضبط هو أن جدتي كانت تغش وهي تلعب الورق معنا وتعطينا في السر حلوى الليمون اللاذعة. من الصعب أن أتصور العم "لانس" كشخص طائش . إنه الآن قاض محترم في "واشنطن" . من الواضح أن إقامته هنا قد أعادته إلى الطريق الصحيح .

قال "چو" :

- وحسب ما سمعتهم يقولون فقد احتفظ بالأغنام وعمل كالمجنون من طلوع الشمس لغروبها . وحسب أقوال أمي فإن العمل الشاق والجاد والنظام والأحاديث المكثفة مع "دون سكايلارك" قد فتحت أمام "لانسلوت نايت" آفاقا جديدة للحياة بصفة عامة وأمام سلوكه بصفة خاصة .

ألقت "حنا" نظرة على "رايدر" وسألت في مكر :

- "لانسلوت" ؟

- إن أسلافي من سلالات الملك "آرثر" ومن فرسان المائدة المستديرة وقد سمونا بأسماء الفرسان .

سألته وهي تميل للأمام :

- كلكم ؟ أنت كذلك ؟

- إننا نبتعد عن الموضوع . دعينا ندع "چو" يقول : كيف وصل إلى العمل في شركتي ؟ إنه يحاول التهرب .

- آسفة !

أجلت الشابة ذلك السؤال لما بعد . لقد شكت أنه أجاب على ذلك السؤال بمسلكه الدفاعي . أشارت إلى "چو" أن يستمر ولكنه نظر إلى كليهما وسألهما :

- هل أنتما زوجان ؟

انفجر "رايدر" ضاحكا ولم يرض ذلك "چو" فسأل :

- ما الذي بينكما بالضبط ؟

أجابت "حنا" :

- لا شيء .

أجاب "رايدر" في نفس الوقت :

- كل شيء .

سخر "چو" :

- هذا - على الأقل - واضح تماما .

رد عليه "رايدر" :

- إن الأمر سابق لأوانه يا "چو" وسنخبرك بما سيجري عندما يظهر شيء ملموس . لماذا لا تنتهي بأن تقص علينا كيف وجدت في "هوستن" في شركة "وايلدكات" للتنقيب ؟

- من الواضح أن جدة "حنا" كانت على اتصال دائم مع السيدة "كنج" طوال تلك السنوات . وقد حضر "كنج" عدة مرات لزيارتها مع أخيه الذي كان يواصل دراسته في الجامعة . وفيما بعد عاد "كنج" مع زوجته وواحد أو اثنين من أبنائهما ..

قالت "حنا" :

- إن جدتي لم تكن لتحب أن تقرأ أو تكتب بالإنجليزية وقد طلبت مني أن أهتم بدراسة المحاسبة والإدارة وكل ما يفيد المحل عندما بلغت السن التي تسمح لي بذلك . وكنت سأتذكر لو أرسلت خطابات إلى الساحل الشرقي .

هز "چو" كتفيه :

- لابد أنها تصرفت حتى تستطيع أن تبقى على اتصال بالسيدة "كنج" .. ولكن ما دخل ذلك بالموضوع ؟

همهمت "حنا" وهي تشعر بالجرح لأن جدتها أخفت عنها شيئا :

- لا شيء .

تابع "چو" حديثه :

- والغريب في الأمر أنه مادامت أسرتك وأسرة "رايدر" قد عادتا من سنوات طويلة ترتب على ذلك أن "دون سكايلارك" فكرت في أن تحدثني عن تلك الوظيفة الخالية في "وايلدكات" للتنقيب. علما بأنه لا الزمن ولا المسافة قد أثرت على صداقتهما. وفي تلك الأمسية أعلنت "دون سكايلارك" أن أحد أبناء "كنج" سيقيم مشروعات أعماله في "تكساس" وأنه في حاجة إلى ميكانيكي معدات وهو ما ينطبق على حالتي. لقد أوصلتنا ببعضنا بعضا عن طريق خدمة كل منا.

تخشب "رايدر" في مقعده وقال :

- إن أخي "ميشيل" قال لي يوما: إنه اكتشف أن "كنج" كان من الواجب أن يصبح لاعبا في مسرح العرائس لأنه يعشق التلاعب بالناس خاصة إيانا .

أعلنت "حنا" :

- ولكن ذلك لم يجعلك تغضب على الإطلاق . ثم إن "چو" من أحسن الميكانيكيين الذين رأيتهم في حياتي .

- أنا لم أندم على ذلك . لأنه بدون مساعدته في إصلاح الحفار القديم لما استطاعت شركة "وايلدكات" للتنقيب أن تستأنف نشاطها مرة ثانية . لقد أدى لي "كنج" خدمة عظيمة . ثم عدم تعارف أسرتينا يشرح أمورا كثيرة .

سألته وشرح "چو" زاد حيرتها :

- مثل ماذا ؟

- إنني لست أفهم كيف ظهر ملف جدتك فجأة على مكتبي في حين أنها كتبت لي من سنوات ثلاث لتخبرني أنها غيرت رأيها.

- أنت لم تقل لي: إنها ألغت الطلب .

- لأنك كنت ستغلقين الباب في وجهي بأسرع ما يمكن لو قلت لك ذلك . إن طلب الإلغاء موجود في الملف. لقد حضرت إلى "بيكون ريدج" بهدف أن أضع يدي على ذلك الذي استطاع أن يبعث الملف وما أهدافه .

- وما الهدف ؟

بدا الانبساط غير المفهوم في عيني "رايدر" :

- لو أن والدي أمرني ببساطة أن أذهب إلى "بيكون ريدج" لرفضت . ولكن بهذه الطريقة جعلني أذهب من تلقاء نفسي .. إنه لايزال يحتفظ بحيل في جرابه .

فهمت "حنا" فجأة وصاحت :

- هل كان والدك يريد منك الحضور إلى هنا ؟ لماذا ؟ هل كان يرغب أن تتعرف علي ؟

- حسنا !

راقبهما "چو" الواحد تلو الآخر وكأنه مشاهد متلهف على متابعة الكرة في ملعب التنس .

- إن هذا الحديث ممتع ولكن لابد من أن أرحل .

نظر إلى "حنا" قبل أن يضيف :

- لست أدري لماذا علقت عضويتك ؟ أعتقد أن اللجنة تنتظر إذا كان "بيت جيني" سيحصل على إجازة بدون مرتب أم لا ؟

- هل أعطوه مهلة ؟

- إنه منح مهلة حتى أول مايو .

- إن هذا يمنحني فرصة لاتخاذ قرار. إن تلاميذي للغة الإنجليزية يزدادون شيئا فشيئا. كما أن الطريق إلى الجامعة المحلية في "نافاجو" قصير جدا وأنا أعتبر أكثر فائدة أن أقوم بالتدريس هنا .

لوى "چو" فمه وكأنه كشف عن شيء غير سار :

- ألم تقل لك "نورا" : إنني أريد أن أنشئ كوخا خلف منزلنا حتى يولد ابننا بنفس طريقة أجداده ؟

ابتسمت "حنا" :

- نعم .. ولكن هل ستقيمه ؟

همهم :

- أعتقد نعم .

تحول "چو" نحو "رايدر" وسأله :

- هل تذكر تلك الليالي الطويلة فوق الحفارات وكنا أثناءها نتحدث عن مشروعاتنا للمستقبل ؟

هز "رايدر" رأسه موافقا :

- بالنسبة لك فإن كل شيء تحقق كما توقعت وتذكر أنك أردت الحصول على دبلوم يؤهلك للتدريس في المستوطنة وأن تعثر على زوجة طيبة وتتزوج وتنجب أطفالا أربعة .

- نعم .. ولكني لست أدري السبب، لماذا أربعة بالذات؟ لست أدري إن كنت ساتحمل أفكارها الغريبة مثل إنشاء كوخ هندي في كل مرة تصبح فيها حاملا أم لا .

ربتت "حنا" كتفه :

- تشجع ! هذا ليس أصعب ما في الأمر .

قال "چو" :

- يبدو أنك لا تنوين إقامة كوخ مثله !

- ولكنك لن تتحمل آلام الولادة والحمل !

- أعرف إلام تهدفين . ساهتم بالكوخ وربما طلبت معاونة صديقنا المشترك لو بقي هنا بما يكفي .

- لا تأمل ذلك .

قال "رايدر" :

WWW.RWYAT.COM

– لم أقرر بعد وأتذكر أنك كنت تدعوني بهذا الوصف قبل الآن ولكنك لم تحدد بالضبط معنى ما تقصده .

أخذ "چو" يهز رأسه . استدار "رايدر" نحو "حنا" :

– أتعرفين ماذا كان يدعوني ؟

– لست أدري . وما السبب ؟ ولكني فهمت بلغة "التاجاكو" ما الاسم؟

– هل هو اسم يسيء أم محرج ؟

– الأمر يرجع إليك لتقرر ذلك . إنه يسميك "الرجل الذي يصنع العصافير" .

قال "چو" بصوت ممطوط :

– أفضل أن أبقى لأسمع شرحك يا "رايدر" ولكني سأتاخر إذ يجب علي المرور أولا على مجمع التجارة لأن "نورا" طلبت بعض المشتريات .

أرجعت "حنا" مقعدها بعنف ثم أعلنت :

– لابد أن أمر على المحل. سأرحل معك يا "چو" وأخرج طلبات "نورا" من المخزن .

نهض "رايدر" بدوره وقال :

– أناو اثق بأن "ديزي" تستطيع التكفل بذلك حيث إن علينا أن نتحدث قبل عودتك إلى المحل .

– لا ..

قال بإصرار في صوت رقيق ولكنه حازم :

– بل ستفعلين. إن غيابك غير المتوقع قد أجل مفاوضاتنا ولا أريد أن أعيد هذه المواجهة مرة ثانية .

الفصل الرابع

دفع "چو" مقعده للخلف وهو ينهض وقال :

– ألستما حقا متزوجين ؟ إن من يراكما يعتقد العكس !

نظر إليه كل من "رايدر" و"حنا" نظرة سوداء . قال "چو" بصوت ممطوط وهو يتراجع :

– انسيا ما قلته وإذا أردت أن تشاركنا في بناء الكوخ نظير أجر فساقدمك إلى "نورا" . أين تقيم ؟

– خلف محطة خدمة السيارات .. في "البواكي" .

– في نفس المقطورة التي تعودت أن تسكنها من قبل ؟ لقد ظننت أنها في مقبرة السيارات من زمن بعيد .

هز "رايدر" رأسه :

– لا .. ولكن لو كان هناك فندق في "بيكون ريدج" لم المحه فإنني سأسعد بالحصول على حجرة فيه.

عندما شاهدت الساقية أنهم على وشك الرحيل تقدمت ووضعت

www.rwty.com مـــروريـــة

فاتورة الحساب على المائدة . امسك "رايدر" بيد "حنا" وهو يلقي بالنقود على المائدة .

بدأ الابتهاج يلمع في عيني "چو" السمراوين :

- إلى اللقاء إذن .. وليس على "نورا" سوى أن ترى هذا ...

بعد ذلك غادر "چو" المقهى ولم يات "رايدر" باي حركة ليتبعه وإنما سحب "حنا" نحو مائدة تقديم المشروبات. القت عليه الساقية نظرة حائرة وهي تضع صينية عليها أطباق متسخة . سالت في ادب :

- هل تريدان شيئا ؟

- نعم .

أشار "رايدر" إلى تورتة معروضة تحت قبة من البلاستيك الشفاف وسالها :

- هل هذه تورتة بالتفاح ؟

قالت "دونا" وهي تضع القلم خلف اذنها :

- في الحقيقة إنها صنعت هذا الصباح .

- أريد أن آخذها .

سالته الساقية وهي ترفع الغطاء :

- أتريد قطعة أم قطعتين ؟

- كل التورتة .

تركت الساقية الغطاء :

- التورتة كلها ؟

أكد لها "رايدر" وهو يبتسم :

- كل التورتة .

أخرج ورقة فئة عشرة دولارات ووضعها على المائدة :

- هذا يكفي على ما أظن ؟

نظرت "دونا" للنقود ثم إلى "حنا" ثم إلى "رايدر" :

- لم يسبق أبدا أن طلب مني أحد تورتة كاملة . سأذهب إلى المطبخ لأرى إن كان هناك علبة تكفيها أم لا .

- لا تشغلي بالك .

دس "رايدر" يده تحت الطبق وقال :

- هذا يمكن أن يكفي .

صاحت "دونا" وهو يتجه نحو باب الخروج معه "حنا" والتورتة :

- هاي ! وماذا عن باقي نقودك ؟

- احتفظي بها .

وقف "رايدر" بالقرب من الباب الزجاجي لانه كان مشغول اليدين ولا يستطيع أن يفتحه ، واستدار نحو "حنا". إنه لا ينخدع في تعبير وجهها الذي أظهر أنها ليست على استعداد للتعاون . قال بلا اكتراث:

- يمكننا أن نظل هنا إلى أن يأتي أحد ويفتح الباب . ولكننا نكسب الوقت لو رغبت في فتحه بنفسك .

ادارت الأكرة وفتحت الباب ولكنها لم تبد أي حركة للخروج . قال لها:

- السيدات أولا !

ترددت "حنا" لحظات ولكن شراء تلك التورتة أثارت حيرتها إلى اقصى درجة وأرادت أن تعرف المزيد عن نيات "رايدر" . إن بعض المقالات التي قرأتها عن "كنج نايت" المحت إلى أن الفنان كان غريب الأطوار نوعا ما . لابد أن هذا من صفات الأسرة .

خرجت الشابة رغما عنها مرة ثانية إلى الشارع . كان الفضوليون من المشاة ينظرون إليهما في ابتهاج . إنها تستطيع أن تتخيل التليفونات وهي تحمل أخر أنباء النهار وهي تطن كخلية النحل . سالها فجاة :

- هل أنت جائعة ؟

WWW.RAYAH.COM

ردت بحدة :

- لا .. لقد كنت على وشك أن أقول لنفسي : إن البعض حاولوا إغرائي بالزهور وبالحلوى والنزهات تحت ضوء القمر فوق شاطئ "كاليفورنيا" . ولكن بصراحة يمكنني أن أقول : إن هذه أول مرة يحدث لي ذلك عن طريق تورتة التفاح .

همس :

- المهم الوسيلة التي تصلح . هل تركت شخصا مهما عند عودتك ؟

- بعض الصديقات كنت أشاركهن الشقة وكنا أحيانا نجتمع حول تورتة الجبن . لقد كانت حفلات رائعة للضحك المجنون ولكن السعرات الحرارية العالية أضرت بأجسادنا .

- أقصد الرجال .

- أعرف ذلك .

لم تضف "حنا" شيئا وإنما أخذت تحيي بعض الأشخاص الذين تعرفهم . لم تسأل "رايدر" عن المكان الذي يقودها إليه . استنتجت بالمنطق أنه "يريد" أن تشاطره التورتة في مقطورته مادام المجمع التجاري في الاتجاه العكسي .

عندما وصلا إلى محطة الخدمة حيت الشابة "بيلي شي" بيدها الذي كان واقفا بجوار طلمبة البنزين يملأ خزان إحدى الشاحنات الخاصة بالعمدة . رد "بيلي" التحية برفع يده ببطء . ووقعت عيناه على يدي "حنا" و"رايدر" المتشابكتين ثم على التورتة التي كان يحملها مثل صينية الساقي ثم نظر مرة أخرى إلى يديهما بعمق شديد حتى إن البنزين طفح من الخرطوم فوق حذائه المصنوع من جلد الثعبان الجديد .

صحب "رايدر" "حنا" خلف محطة الخدمة حيث كانت مقصورته وقال لها :

- ليس هناك أفضل من أن يكون الإنسان في بيته .

- لماذا تسمي المكان "البواكي" بيتا ؟

- في يوم ما عندما كنت أعمل في موقع العمل في مكان يسمى "خور السيل" وفي إحدى الليالي كنت نائما عندما حملتني المياه إلى مسافة خمسة كيلو مترات من الموقع وقد عامت هذه المقطورة اللعينة فوق المياه .

نظر إلى المقطورة في عشق ثم ترك يد الشابة ثم وضع التورتة فوق يدها وقال :

- امسكيها دقيقة وساعود في الحال .

سال لعاب الشابة أمام رائحة القرفة والتفاح المطهو بينما دخل "رايدر" المقطورة . قضمت قطعة من التورتة في تلذذ . وفي الحال أثار طعم التفاح والكريمة نهما لديها ورغبة شديدة نحو ذلك الرجل الذي لا تعرفه إلا من أيام . ولم يخفف من رغبتها ذكرى تجربة أمها الحزينة. إنها لا تعرفه إلا من وقت قريب وهو ما يثير قلقها . إن أي قصة عشق لن تخلق سوى التعقيدات. لقد أظهر "رايدر" بعض العلامات التي تشير إلى حبه للتملك بدليل إصراره على معرفة أين قضت الأيام الثلاثة الماضية. إنها لم تتعود أن يحاسبها أحد وهي تعيش بمفردها من زمن طويل .

سعد "رايدر" عندما اكتشف أن الهواء المكيف داخل المقطورة كان منعشا ومنشطا بدرجة معقولة فتح درجا بجوار حوض الغسيل حيث يوجد به بعض أدوات المطبخ، بحث إلى أن عثر على شوكة ثم شوكة أخرى. أغلق الدرج ومسح الشوكتين بمنشفة . كان قد تذكر فور دخوله المقطورة أنه اتصل بمكتبه وعلم من السكرتيرة أن والده أرسل فاكسا يعلن رغبته في العودة إلى إنجلترا في الأسبوع التالي . كان الخبر في حد ذاته عاديا أما الموعد فهو الغريب خاصة وأن والده هو الذي رتب

لرحيله إلى "بيكون ريدج" . وحتى لو كان اجتمع كل اشقائه واخته وهو نفسه في قصر "كنج" احتفالا بالعيد السبعين ، لميلاد والدهم في الشهر الاخير ، فقد بدا غريبا أن يرسل لهم فاكسا يخطرهم بانه سيقوم بزيارتهم . ثم إنه بدا مؤخرا يلمح إلى أن الوقت حان ليجد ابناؤه الذكور زوجات لهم ليمنحوه احفادا .

ولكن هذه الرسالة بدت مختلفة. فإنه يريد أن يبيع لعبته الشطرنج المصنوعة من الذهب ، وكانت لعبة الشطرنج قد نفذها احد اجداده القدامى وكانت لا تقدر بثمن . كانت محفوظة في القصر في صندوق زجاجي ومغلق بخمسة اقفال ، ولابد من فتح الاقفال الخمسة عند الرغبة في إخراجها ، وكان "كنج" يحمل مفتاحا وابناؤه الاربعة يحملون المفاتيح الباقية . وفي رسالته بالفاكس يقول لـ"رايدر" أن يحضر درعه الواقي معه كالعادة. كان "رايدر" هو وإخوته يعتقدون أن لعبة الشطرنج الذهبية تعتبر من مقتنيات الأسرة. لم يفهم لماذا يريد "كنج" فجاة الانفصال من لعبة الشطرنج هذه . إن الامر لا يمكن أن يكون له علاقة بالمال . إن والده فنان حقق نجاحا باهرا وكان بإمكانه أن يحصل على مبالغ خرافية من أعماله . ثم إنه كان مساهما رئيسيا في مشروعات "كنج" التي تمتلك سلسلة من المحال الضخمة الفاخرة والتي مقرها الرئيسي في "كنتاكي" . ومن سنوات طويلة ترك قيادة مشروعات "كنج" لشريكه "جون لوماكس" وسمح للشاب أن يفعل ما يشاء بهذا المشروع العائلي .

انزلقت شوكة من يد "رايدر" وسقطت على الأرض انحنى ليلتقطها ثم عاد للمراة التي كانت تنتظره بفارغ الصبر في الخارج .

قال في نفسه :

كان على والده أن يختار لحظة افضل . كما كان عليه أن يكون اكثر وضوحا . إن "كنج" عندما اغرى "رايدر" عن طريق ملف "سكايلارك" فقد

نجح تماما في هدفه . لقد تعرف "رايدر" على "حنا" . ولكن أن يطلب منه العودة بسرعة إلى إنجلترا قد جعله ذلك يشعر بالضيق الشديد . لقد سبق واقترح "رايدر" على "كنج" أن يكتفي بلوحاته ويكف عن التدخل في حياة الآخرين .

بعد أن نال "رايدر" كل ما جاء ليحصل عليه فإنه لن يتجه في الحال إلى الباب . إنه في حاجة للاعتراف بانه لم يبق في تلك المدينة الصغيرة الرهيبة والمتربة لا من أجل البترول ولا من أجل ابيه ولا من أجل صداقة "دون سكايلارك" لجدته . إن السبب الوحيد لذلك "حنا" التي تقف فارغة الصبر على بعد أمتار من الباب .

لقد أدرك أن تلك الأيام في "بيكون ريدج" ستحسب من الآن فصاعدا بسبب الإنذار الغريب من والده . لا داعي إذن لضياع الوقت .. فتح الباب .

تاملت "حنا" "رايدر" وهو يهبط من المقطورة كان قد ترك قبعته في الداخل بينما تلاعبت اشعة الشمس الحامية فوق شعره الأسود . أحست الشابة بارتجافة في أعماق قلبها وهو ياتي لمقابلتها .

وقف "رايدر" على بعد سنتيمترات منها وابتسم وكانه استنتج افكارها . القى نظرة على تورتة التفاح ومرر لسانه على شفته السفلى . قال :

- الم تستطيعي الانتظار ؟

- من الصعب مقاومة بعض الإغراءات .

- الهذا السبب تبعتني إلى هنا دون مقاومة ؟ لأنك أحسست بالإغراء؟

كم ودت "حنا" لو استطاعت أن تقرأ افكاره ولكنه يجيد إخفاء مشاعره تماما مثلها . أجابت بصراحة :

- نعم .

- وفي هذه اللحظة بالذات .. التورتة هي المهمة ؟

- نعم .

- هل تودين الدخول حيث الجو اكثر إنعاشا ام تفضلين التلذذ بتناولها هنا ؟

- افضل ان ابقى هنا حتى لا يثير "بيلي شي" ضجة جديدة من الإشاعات. ومن المحتمل انه يطلب من "ديزي" ان تحشو بندقيتها لأن ملقب بترول قد اغواني .

- هل هناك ما هو اكثر إزعاجا من تناول تورتة في وضح النهار وأمام العيون ؟

امسك بيدها وقادها إلى الجانب الآخر من المقطورة :

- في المرة القادمة التي أدعوك فيها علي أن أتاكد من أن "بيلي شي" غير موجود في الجوار .

همست :

- يا له من كلام مطمئن !

خلف المقطورة كانت مظلة مشدودة من سقفها على ثلاثة أعمدة من الالومنيوم وممتدة مترا ونصف متر ووضع مقعدا في الظل وكذلك صندوقا من الخشب من الواضح انه يستعمل كمائدة .. قال وهو يشير إلى المقعد :

- اجلسي !

جلست الشابة ووضعت التورتة على ركبتيها .

جلس "رايدر" على الصندوق وأخرج المطواة من جيبه وبدأ في تقطيع التورتة . سالته :

- ألم تحضر صحونا ؟

- لابد من غسلها ومن حظك أن عثرت على شوكتين .

- وكيف تعتقد اننا سناكل التورتة بدون صحون ؟

اخرج إحدى الشوكتين من جيبه وغرسها في إحدى قطع التورتة ورمقها ثم قربها من فمها وقال :

- افتحي فمك واسعا واقضمي ! والآن امضغي .

كانت عملية الطعام بمثابة وسيلة لإذابة الثلج بينهما وكانت التورتة لذيذة . ولكن "حنا" لم ترغب اكثر من ذلك .

كانت على وشك أن تهجم على قطعة اخرى عندما سالها :

- كيف إذن جرحت ذراعك ؟

www.rewity.com

الفصل الخامس

حدجته "حنا" بنظرة غاضبة مصحوبة بابتسامة :

- ليس بغريب أن السيد المنقب ينجح في أعماله . انت عنيد ولحوح حتى إنني أراهن انك على استعداد للحفر والتنقيب من هنا حتى منتصف المسافة إلى الصين في سبيل الحصول على ما تريد .

لم ينكر "رايدر" ذلك ومع ذلك لن يدعها تغير الموضوع .

- لقد اخبرني "بيلي شي" انك كثيرا ما ترحلين بمفردك إلى الصحراء. ويقال : إن أحدا لا يعرف اين تذهبين عند سدول الليل .

قالت وهي تلعق ما بقي في شوكتها :

- إن الشمس تغرب عند الغرب وأنا اذهب إلى الشرق .

- إنه مجرد تعبير فلسفي . على اية حال اي مكان تذهبين إليه من الواضح انه محفوف بالخطر .

أحست "حنا" انه سيلف ويدور حول موضوع زراعها المحاطة بالضمادة فرات أن تشرح له :

- إنني أمون احد افراد قبيلتي .

- ولكنك لم تخبريني كيف وصلت إلى وضع ضمادة حول ذراعك ؟

هزت رأسها في بطء وهي تشعر بالضيق والإعجاب في آن واحد . قالت له :

- الا تمل ابدا من الإلحاح ؟

- كان الأحرى بك أن تعرفي ذلك وأنت من ناحية اخرى تجيدين الدوران حول الموضوع .

- مادمت ستواصل الإلحاح في سؤالي عن هذه الضمادة فإنني ساخبرك بما حدث . وهو شيء عادي لقد اصبت بحرق .. هذا كل ما هناك .

تذرع "رايدر" بالصبر مدة عشر ثوان ولما لم يحصل على أي تفسير آخر قال بصوت ممطوط :

- لست أدري كيف أشكرك يا "حنا" لانك اعدت السكينة إلى قلبي بهذا التفسير الواضح والطويل .

زفرت الشابة :

- إن الأمر - كما ترى - بسيط . اليس كذلك ؟

- إنه بسيط ولا يستحق الاهتمام حسب شرحك .

نظرت حول نفسها حتى تتاكد من أن أحدا لا ينصت .

وقلدها "رايدر" دون أن يدري السبب . مالت نحوه وهمست :

- أتعدني ألا تكرر ما ساقوله ؟

زفر "رايدر" ونظر إلى السماء مستنجدا :

- اقسم !

- إنني بدات اتعلم كيف اصنع الحلي "النافاجو" .

مرة ثانية انتظر تفسيرا ومرة أخرى لم ينل التفسير المنتظر . قال بنفاد صبر :

- لم اكن لأظن أن صناعة الحلي تنطوي على خطر . هل يمكن أن تشرحي لي ذلك ؟

- لقد أصبت بحرق بالمصادفة في رسغي بواسطة قطعة من الفضة كنت قد سخنتها بشعلة أكسجين وهذه ليست المرة الأولى ، ومن المحتمل الا تكون الأخيرة .

بدا "رايدر" يقول في نفسه: إن الحكايات التي سمعها عندما كان في سن المراهقة عن أن الإثارة الجنسية يمكن أن تورث المرء الجنون . قال بحرص :

- لنحاول أن نعرف إن كان كل منا يفهم الآخر ام لا . تقولين : إنك رحلت إلى الصحراء الملتهبة مدة ثلاثة أيام بمفردك من أجل تموين أحد أفراد قبيلتك ولصناعة حلي للزينة من الفضة في سرية ، مع أن ذلك لا هو مخالف للقانون ولا يعد خطيئة مهلكة ، وفي مكان بين أشجار الكافور والسرو معك شعلة "اسيتيللين" تستخدمينها في حرق ذراعك وأحيانا في حرق الفضة .

- لا داعي لأن تكون متهكما يا "رايدر".. إنه أنت المصر على أن تعرف ما حدث .

- لقد بدأت اشعر بالقلق وأنا على حق يا "حنا" . إذا كنت تظنين أن هذه الحكاية الهوائية تصلح تفسيرا فلا شك أنك بقيت في الشمس أكثر مما يلزم .

- إنك تجعل الأمور أكثر تعقيدا رغم بساطتها .

- أنا ؟ إنني ببساطة أحاول أن أفهم كيف أمكن أن تصابي . وأنت التي تحدثت عن صناعة الحلي "النافاجو" وكأنها سر من أسرار الدولة.

- لو عرف الناس هنا أنني أتعلم صناعة الحلي "النافاجو" فإنهم سيرغبون أن يعرفوا من يعلمني .

- هذا سؤالي التالي الذي كنت سأطرحه .

- الرجل الذي يعلمني صناعة الحلي لا يريد أن يعرف عنه أحد أين هو .

نهض "رايدر" بعنف وقال :

- لقد كنت على استعداد أن أرسل إليك الحرس الوطني للبحث عنك بينما أنت مع مخلوق ما .. هذا تجاوز الحدود .

- كف عن التصرف كالدب الهائج يا "رايدر" . ليس هذا ما تظنه. إن معلمي "استيدي" يزيد على السبعين عاما ثم إنه عمي .

كف "رايدر" عن الحركة وأخذ يتاملها بإمعان :

- عمك ؟

- نعم عمي .. "استيدي" كان صانع حلي مشهورا من عشرين سنة . ولا يوجد مثيل له في صناعة الحلي "النافاجو" . وحسب رأي الخبراء فإن بعضا من قطعه القديمة تساوي مئات الدولارات . ولكنهم استغلوه حقا وهزئوا به في أحد معارض الحلي . وكان الكفيل الذي اقام المعرض قد طلب منه الظهور بحلة مهلهلة تدل على العوز في حين كان "استيدي" يمتلك ملابس نظيفة وجديدة وغطاء رأس خاصا بالاحتفالات ولكنهم طلبوا أن يرتدي حسب مزاجهم وأن يطلي وجهه وجسده بصورة المحارب الهندي وأن يتظاهر بانه لا يتحدث الإنجليزية. والآن كل ما يريده هو أن يدعوه في سلام لأن كرامته افضل من المال والشهرة .

جلس "رايدر" فوق الصندوق وقال برقة :

- شكرا يا "حنا" .

- على ماذا ؟

- لأنك وثقت بي وتحدثت معي عن عمك.. لن أقول ذلك لأحد حتى ولا لـ"كنج" الذي قد يتنازل عن أي شيء في سبيل لقاء عمك.

www.rewity.com

- لم أكن لأبوح لك بذلك لو لا علمي أنك لن تفشي السر .

لمس "رايدر" خدها باصبعه ليزيل قطعة من التورتة وأحست هي بتقلص شديد بمعدتها وكأنها في مكان عال .

- إن الأمور ستكون أسهل لو امتنعت عن لمسي .

- ولكني أحب أن ألمسك !

نسيت التورتة وأحست الآن بجوع أقوى من أي رغبة أخرى . إنه يحاول مغازلتها قالت له :

- إنني لا أعرف جيدا .

- الأحرى بي أن أقول ذلك لأنه من الصعب أن يعرف المرء عنك الكثير . إنك تخفين كل شيء داخلك في حين أنني أريد أن يكون كل شيء بيننا واضحا .

فجأة بدت على وجهه الجدية . وسألها :

- من أنت يا "حنا" ؟

كانت الشابة تعرف الإجابة على هذا السؤال : يجب عليه العودة إلى "أريزونا" ليعرف الرد . قالت :

- حتى تستطيع أن تعرف من أنا لابد أن تعرف أولا من أين أتيت . لا أقصد من الناحية الجغرافية وإنما من الناحية الحضارية والثقافية.

- كلي آذان مصغية .

مالت "حنا" برأسها جانبا وأخذت تتأمله حتى تستشف أدنى علامة للتهكم . ولما لم تلاحظ سوى الانتباه الشديد من جانبه أكملت :

- لقد تمت تربيتي عمليا بواسطة جدتي حتى وأمي على قيد الحياة . كانت جدتي هي التي اعتنت بي وتجيب على أسئلتي وتؤدبني وتواسيني .

- ما الذي حدث لأمك ؟

- بعد مولدي تعرضت أمي لانهيار عصبي .ففي يوم عندما كنت في الرابعة من عمري رحلت إلى الصحراء وعاد جوادها بدونها. كانت قد عسكرت عن عمد أو غباء في قاع نهر جاف. وفجأة هطلت الأمطار كالسيول مما أحدث فيضانا أغرقها ..

قال برقة :

- أنا آسف .

- وأنا كذلك لأنني كنت أحب أن أعرفها. لم أكن لأتحدث الإنجليزية بدرجة كافية عندما أرسلوني إلى المدرسة الداخلية مثل بقية أطفال المنطقة ، وكنا نقطن بعيدا عن المدرسة مما يجعل من الصعب قيامي بالمشوار ، خاصة وأن الطرق كانت محفوفة بالخطر ولا تسمح لأتوبيسات المدرسة بعبورها. وتصور عندما وجدت نفسي وسط بلد غريب تتعارض لغته وعاداته وطعامه وملبسه مع عاداتنا ، ومع ذلك لم يهدوني بحلق شعري ولا بالاستحمام بالكيروسين ، وأعتقد أن ذلك أخف بكثير إذا ما قورن بما فعلوه مع جدتي .

تخيل "رايدر" "حنا" وهي فتاة صغيرة ومرتعبة. ووحيدة وغير قادرة على التعبير عن نفسها . إنه يرغب أن يجعلها تحس إلى أي مدى يفهمها .

قال لها :

- عندما استقر والداي بصفة نهائية في بريطانيا أدخلاني وأختي في مدرسة إنجليزية . كنت وقتها في الرابعة عشرة من عمري وكان بجوارنا دائما شقيقاي "ميشيل" و"تيرنر" وكانا أكبر منا ثم اختارا الدراسة في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية . كانت أمي بريطانية وعلمتني بعض العادات والاختلافات الثقافية ، ولم أصادف أي مشكلة في اللغة عدا بعض الكلمات الإنجليزية التي لها معنى مختلف في الأمريكية . ولكني أتذكر أنني كنت أحس وكأني سمكة خارج الماء

وانني مختلف .

وافقته الشابة :

- إنني اظن أن الأطفال لا يحبون أن يكونوا مختلفين وإنما فقط عندما يكبرون في السن يفهمون ما الاختلافات التي تجعل الفرد فريدا بين اقرانه .

- إن دراستك هي التي تجعلك الشخصية التي انت عليها .

ابتسم "رايدر" في حزن وقال :

- انت عندك "دون سكايلارك" وانا عندي "كنج نايت" الذي كان ابا ويجعلنا نعيش مثل "والت ديزني" أو الرسام "رامبرانت" .

- وماذا عن كوني نصف هندية ونصف امريكية ؟

- انا نفسي نصف إنجليزي ونصف امريكي .. هل هذا يغير شيئا بالنسبة لي ؟

اجابته بكل سهولة وفي جدية :

- طبعا لا . ولكن هناك ايضا حقيقة انك بقيت هنا وقتا طويلا . ولكني لن ارتكب نفس الغلطة التي ارتكبتها أمي عندما ارتبطت مع شخص لم يكن لديه نية البقاء هنا .

نظر إليها بإمعان :

- إنني احسدك .

اتسعت عيناها دهشة . لقد توقعت أن يغازلها .

- ولكن لماذا بحق السماء تحسدني ؟

- إنني لا أستطيع أن أتحكم في عواطفي نحوك على عكسك .

نهض "رايدر" وابتعد عدة خطوات قبل أن يتاملها .

- إنني اشعر برغبة شديدة نحوك وكان من الغريب انني قلق لدرجة رهيبة من ان تختفي ولا يعرف عنك احد شيئا. لقد حاولت نسيانك ولكني لم انجح. لقد ظننت انك رحلت لمقابلة عمك من اجل الابتعاد

عني. وهذا يشكل مشكلة لكلينا ...

قاطعه فجاة ظهور صوت "بيلي شي" وهو يصرخ اسمها :

- انا هنا يا "بيلي" ! ماذا هناك ؟

نهضت الشابة مرة واحدة من فوق مقعدها . غير "بيلي" اتجاهه ليلقاها وهو يظهر من خلف المقطورة .

- لابد أن تعودي فورا إلى مجمع التجارة .. لقد ضبطت "ديزي" لصا عند واجهة العرض وهي توقفه أمام ماسورة بندقيتها . وقد اتصلت بها لأخبرها عن مكانك ...

أمام تلك الكلمات أخذت "حنا" تعدو نحو المحل دون أن تترك "بيلي" يتم كلامه . سبقته في السرعة وهي تتخيل "ديزي" وهي تصوب بندقيتها نحو اللص . لم تدهش الشابة عندما أدركت أن "رايدر" كان يتبعها وعندما وصلا أمام المحل . كانت مجموعة من الناس قد تجمعت أمام الباب . وكان تليفون "بيكون ريدج" العمومي قد عمل باقصى سرعته .

شقت "حنا" طريقا لها وسط الفضوليين وفعلت نفس الشيء عندما دخلت المحل . كانت تهز رأسها نفيا عندما كانت تسال : من اللص ؟؟ وما الذي سرقه هل قتلته "ديزي" ؟ قالت لهم :

- إنها لا تعرف شيئا وإنها لن تعرف ابدا ما لم يسمحوا لها بالمرور. كانت عيونهم كلهم مركزة على مكان التسليم .

اتجهت "حنا" نحو ذلك المكان وابعدت الستارة عندما وصلت اخيرا عند عتبة الباب . توقعت أن تجد أشخاصا أخرين في حجرة التسليم ومع ذلك كان من يشغل الحجرة فقط هم "ديزي" والبندقية لاتزال في يدها وبائعة أخرى اسمها "أوبال" وصبي في الثانية عشرة من عمره الذي كان مستندا على احد الأعمدة ويداه مربوطتان خلف ظهره وحبل التف عدة لفات حول جسمه .

اغلق "رايدر" الستارة خلفه مما زاد فضول هؤلاء الذين مدوا رقابهم ليروا اللص حيا أو ميتا . عندما رأى ان اللص ليس سوى صبي نحيف بدا وزنه اخف من الحبل الذي كان مكبلا به هدا وترك "حنا" لتمسك بزمام الأمر . سالت اللص :

- هل انت بخير يا "مانويللو" ؟

لم يرفع الصبي عينيه ولم يجب وظل مثبتا انظاره على الأرضية وشعره الطويل يغطي جزءا من وجهه وكان البنطلون الجينز الذي يرتديه قد اصبح شبه ابيض من كثرة غسله والقماش مثقوب ومهلهل عند الركبتين . وكان "تي شيرته" نظيفا ولكنه كان خفيفا جدا حتى اوشك ان يكون شفافا . كان حافي القدمين .

التفتت "حنا" نحو "ديزي" وواجهتها بكلمات لم يفهم منها "رايدر" كلمة واحدة وإن كان من الواضح انها ثائرة. خفضت البائعة بندقيتها وامسكت الشابة بالسكين الذي تفتح بها طرودها وبدأت تقطع الحبل . عندما اصبحت يدا الصبي حرتين اخذ يدلك رسغيه ولكنه ظل خافضا نظره لأسفل ولم يقل كلمة واحدة .

التفتت "حنا" إلى الشابة الواقفة مع "ديزي" وقالت :

- هل يمكن ان تذهبي إلى الناس وتخبريهم ان الإثارة انتهت ؟ من فضلك يا "اوبال" لا داعي لان يعرف احد لماذا "ماني" هنا واخبريهم انه حدث سوء فهم .

هزت "اوبال" راسها موافقة وسمع صوتها بعد ذلك يرتفع وهي تحاول ان تطرد الفضوليين من المحل . ظلت "حنا" بجوار "مانويللو" وسالت في هدوء :

- قصي علي يا "ديزي" ما الذي حدث ؟

كان الشرح باللغة "الأوزباكستانية" مختصرا . ولما كانت "ديزي" تعبر بكثير من الحركات فقد استطاع "رايدر" ان يعرف الحادثة . كان الصبي

يسرق طعاما وامسكت به وهو يهرب . وعندما انتهت "ديزي" من روايتها قالت شيئا أ غضب الصبي كثيرا . رفع "مانويللو" راسه بعنف والقى نظرة نارية على البائعة . واعلن بالإنجليزية :

- نحن لا نقبل الصدقة .

قالت "حنا" :

- شكرا يا "ديزي". لماذا لا تذهبين لتساعدي "أوبال" وساسوي الأمر مع "ماني" .

القت البائعة نظرة على "رايدر" وهمهمت شيئا ما وجهته إلى "حنا" بلغتها الخاصة .

هزت "حنا" راسها والتقت عيناها مع عيني "رايدر" الذي كان على استعداد للتنازل عن اغلى حفار عنده نظير معرفة ما قالته "ديزي" .

بعد فترة قصيرة اشبع فضوله عندما ردت "حنا" على "ديزي" باللغة الإنجليزية واحس بان الرد موجه له أكثر من "ديزي" :

- اعتقد انه من غير المجدي أخذ راي رجل في هذا الوضع يا "ديزي" . وانا واثقة بان السيد "نايت" لن يجد افضل من يعطي رايه في ذلك لانه لم يتردد في إعطائه في كل مشكلة .

تصنع "رايدر" الابتسام. القت عليه "ديزي" نظرة كافية لإحراق شجرة كافور ثم خرجت بخطوات مزعجة حاملة معها البندقية الشهيرة. ظل "رايدر" في مكانه. كان من الواضح ان الصبي يائس ومرعوب وهو ما يمكن ان يشكل خطرا . إنه يبدو غير شرير حاليا ولكن الوضع يمكن أن ينقلب .

استندت "حنا" على كومة من صناديق الكرتون وعقدت ذراعيها على صدرها. ظل "ماني" خافضا عينيه في إصرار . سالته في لهجة لوم :

- هل وضعت أمك الطفل ؟

أجاب الصبي بهزة بطيئة من رأسه. استانفت:

- ساقوم بإعداد بعض علب الغذاء ومواد التموين الاخرى وستحملها إليها .

رفع "مانويللو" راسه فجاة وكانها مركبة على زنبرك. رفعت "حنا" يدها لتمنعه من الاحتجاج :

- إنه ليس إحسانا يا "ماني" ! إنك ستدفع ثمن كل علبة طعام محفوظ وجوال دقيق الذرة .

رد الصبي بلهجة خشنة ليداري انفعاله :

- ليس لدي نقود ادفعها لك .

- لست في حاجة لدفع نقود وإنما ستقوم بعملية مقايضة .

- ليس عندي شيء اقايض به .. لقد اخذ كل شيء .

لم تكن "حنا" في حاجة لأن تساله عمن يقصد .

- إن والدك لم ياخذ كل شيء وإنما ترك اغلى شيء هنا .

قطب "ماني" جبينه :

- كيف ؟

- انت وإخوتك واخواتك .

ابتسمت "حنا" وهي تراه حائرا مشدوها وقالت :

- سنعقد صفقة يا "ماني" . ستعود إلى المدرسة اثناء الاسبوع ويوم السبت تاتي لتفريغ الصناديق الكرتونية وعندنا دراجة هنا يمكنك ان تستخدمها بعد ان تنفخ عجلاتها ، ومساء السبت ستاخذ تموينا بدلا من الأجر .

- لن اذهب إلى المدرسة وسيتاح لي وقت كبير لاعمل واكسب من اجل قوتنا . لقد حاولت الحصول على وظيفة ولكن احدا لا يريد ان يشغلني .

- إن الجزء المهم من هذا الاتفاق هو ان تذهب إلى المدرسة ومن حسن حظك انك تقطن على بعد ثلاثة كيلو مترات فقط من المدرسة

وعلى الطريق لشاحنة المدرسة ، ولذلك لن تضطر لأن تلتحق بالداخلية وتعود كل مساء لمساعدة أمك . لا مدرسة.. لا مقايضة.

مرر الصبي يده في شعره الكثيف الأسود ورفع بعض الخصلات من فوق وجهه ثم انتصب بعض الشيء، قل مظهر اليأس والإحباط عنده . سأل مبتسما :

- وهل لابد علي أن احب المدرسة أيضا ؟

ردت "حنا" على ابتسامته بمثلها :

- لست في حاجة بعد الآن إلى أن تحب الكنس وإنما عليك فقط ان تفعل شيئين على اكمل وجه : تنفذ كل ما اطلبه منك بكل دقة .

- إذن انت لن تستدعي الشرطة ؟ لقد قالت لي "ديزي" إنهم سيقبضون علي وإنني سانعفن في السجن إلى أن افقد كل اسناني .

همست "حنا" :

- إنه مجرد تعبير ولكن كل ذلك غير صحيح .

كان "رايدر" يوافق الشابة في اعماقه ماعدا شيئا واحدا . قال:

- ولكن "حنا" ستستدعي الشرطة إذا عدت لذلك مرة ثانية ما لم تقم "ديزي" بقتلك بطلقة من بندقيتها .

تحول "ماني" نحوه :

- إنني لن اسرق شيئا أبدا ولم اكن لأفعل ذلك هذه المرة لو اعطوني عملا . إن إخوتي واخواتي جائعون .

اشارت "حنا" إلى "رايدر" بحركة من يدها وهي تتجه نحو كومة من صناديق الكرتون الفارغة :

- "مانويللو شافيز" هذا هو "رايدر نايت". ربما لو طلبت من السيد "نايت" برقة فقد يقبل مساعدتنا في حمل كرتونات الغذاء حتى سيارتي الجيب .

اقترب "رايدر" من الصبي ومد له يده اليمنى . بدا أن "ماني" دهش

فرفع يده ببطء بحركة تنقصها الثقة. صبر "رايدر" لأنه مادام هذا الصغير مسؤولا عن أسرته فلابد أن يعامله كرجل .

وقفت "حنا" تشاهد "ماني" . ربما كانت هذه أول مرة يعامل فيها رجل هذا الصبي ندا لند. إن والده نفسه لم يكن ليفعل نفس الشيء عندما ظهر واختفى من حياته . صافح "ماني" يد "رايدر" أخيرا وهزها بعنف عدة مرات. أدركت "حنا" بكل سرور أن "رايدر" لم يحاول تقويمه ولا أن يسخر منه . أمسك "رايدر" بكتفي "ماني" وأداره وقال :

- من الأفضل أن نلقي نظرة على الكرتونات التي اختارتها "حنا" ، فهي قادرة على اختيار أثقل الكرتونات من أجلنا ولكن على أية حال لن نظهر بمظهر الضعف أمام فتاة .

استدارت "حنا" لتخفي ابتسامتها . تبع "ماني" "رايدر" بكل فخر . لأول مرة يحدثه رجل برقة ومن الواضح أن له تأثيرا كبيرا على الصبي .

انتهت الشابة من ملء ثلاث كرتونات ضخمة وأضافت إليها بعض المنتجات التي رأت أن عائلة "ماني" في حاجة ماسة إليها . لم تترك في الجيب مكانا إلا من أجل الدراجة التي رأى "رايدر" تركها من أجل رحلة ثانية ولكن بدا على "ماني" الإحباط لدرجة أن الشاب ذهب لإحضار الحبل الذي استخدم في تكبيل الصبي وربط الدراجة خلف السيارة . بعد ذلك جلس "رايدر" خلف عجلة القيادة لسيارة "حنا" وابتسم لها فهمست :

- أنت قوي التحمل مثل نباتات الصحراء .

كان على "حنا" أن تعترف بتمتعه ببعض المواهب . إنه لم يبد مثلا احتقارا أو شفقة مصطنعة عندما رأى مدى البؤس الذي تعيشه عائلة "ماني" عندما وصلوا إلى المستعمرة ماعدا تصلب فكه عندما دخل الكوخ وإن لم يدع شيئا يبدو عليه. كان الكوخ الهندي مكونا من حجرة

واحدة سداسية الأضلاع ، اتساعها حوالي خمسة أمتار وكل ما بها من أثاث عبارة عن سرير من الحديد ومهد طفل وسريري معسكرات وموقد ومائدة مطوية وكومة من الملابس . بينما الملاءات والمتعلقات الشخصية كانت مطبقة وموضوعة بجوار الجدران وكانت الأرضية من الطوب اللبن . وكان يلزمهم الذهاب لإحضار الماء من بئر على بعد كيلو متر من الكوخ . بينما أضيئت الحجرة بمصابيح كيروسين .

كانت أم "مانويللو" "لوسي سافيز" في مرحلة حمل متقدمة واستقبلت "حنا" بحفاوة وهي تسير متثاقلة وحيتها بلغة الهنود الحمر وهي تصافحها. قدمت لها "رايدر" وابتسمت له "لوسي" عندما لم تر أي علامات امتعاض على وجهه أو احتقار وعندما طلب منها الشاب أن يذهب لإحضار الماء مع الأولاد وثقت به السيدة وأعطته موافقتها .

أخذت "حنا" تثرثر في موضوعات مختلفة مع "لوسي" وهي تساعدها في ترتيب مؤنها . وعندما شرحت لها أن "ماني" سيعمل في محلها حاولت أن تظهر أن الصبي سيخدمها ولم تحاول ذكر موضوع السرقة.

عندما عاد "رايدر" وافق على تناول العشاء مقتربا من "حنا" وقد دهشت لأنه قبل ذلك بسهولة وجلس بجوارها فوق الأرضية الطينية الجافة .

ابتسمت عندما وجدته يمسك بصغرى بنات "لوسي" التي أوشكت أن تسقط ووضعها على ركبتيه وأخذ يدغدغ بطنها . والذي أذهلها أنه أخذ يصنع عصافير من الورق يقدمها للأطفال. عرفت الآن لماذا سماه "چو" صانع العصافير ، ووقتها عرفت أنها سقطت في حبه .

الفصل السادس

في هذه اللحظة بالذات رفع "رايدر" رأسه فادارت هي رأسها لتخفي مشاعرها المنعكسة على عينيها. لم تفعل ذلك لانها وقعت في حب مغامر ينقب عن البترول وإنما كان على الشابة أن تدير تلك الفكرة المذهلة في رأسها أولا ثم تقرر .

بعد فترة أثناء رحلة العودة ظلا صامتين طوال الكيلو مترات الأولى وهما يتاملان حالة الأسرة التي تركاها من قليل . كانت الشمس تغيب فوق رؤوس الجبال وتصبغ السماء بالوان زهور الزنبق والبنفسج وباللون الأرجواني وكان الجو قد برد والشمس تختفي . انتهى الأمر بان أعلن "رايدر" :

- إنني أحس الآن كيف يشعر بابا "نويل" وهو يوزع هداياه على الأولاد الفقراء .

- ولكني اريد ان يستغل "ماني" وقت فراغه لانني لا احب ان اجرح

هذه الأسرة في مشاعرها بان يضطر الابن في هذه السن أن يعمل للوفاء باحتياجات أسرته .

- عندما كنت تملئين الكراتين لاحظت انك لا تضعين فيها منتجات مجمدة .. هل كنت تعرفين انه ليس لديهم كهرباء ؟

- إنهم بعيدون جدا عن المدينة ومعزولون للغاية بحيث لا يستطيعون الاستفادة من الكهرباء .. أليس كذلك ؟

- هل سيفي "ماني" بوعده ؟

- أتعشم أن يفعل . إنه أملهم الوحيد .

- لقد رايت ان هناك خمسة أطفال مع "ماني" وأمه تنتظر طفلا آخر . إنه حمل ثقيل على صبي صغير .

- إن الأطفال يصيبهم الكبر بسرعة هنا .. هل ستلد "لوسي" بمفردها في كوخها .

كانت هذه الفكرة لا تسعد "حنا" ايضا .

- محتمل واشك انها تستطيع الذهاب إلى المستشفى .

- لو سمحت لمشروعي بالتنقيب في اراضيك يمكنني أن أساعد إلى حد كبير الأطفال من نوع "ماني" حيث سيكون لدي عمل أقدمه لهم .

ردت عليه بنبرة مرهقة :

- لقد سبق أن ناقشنا كل ذلك ولم اغير رأيي .

- انت تصرين على الرفض ولكن جدتك هي التي اتصلت في البداية بشركة "وايلدكات للتنقيب" . والآن وقد اثارك "جو" حول العلاقات التي تربط عائلتينا . أعتقد ان جدتك كانت تثق بي تمام الثقة .

- إنني متمسكة بعدم العودة لهذا الموضوع يا "رايدر" ولكن لا صلة بين هذا وموضوع الثقة وبقليل من الصبر قد تمنحني أيضا بعض الثقة ووقتها ستصدقني .

- منذ ان تعرفت عليك فإنني لا أستطيع التفكير السليم .

قطعا عدة كيلو مترات ثم استانف الشاب الحديث :

- لقد لاحظت وجود دماء بجوار "ماني" في حجرة تسليم البضائع . هل لابد ان يقطع هذا الفتى كل تلك المسافة إلى المدرسة على قدميه ؟

- لابد أن أمه تحتفظ له بحذاء من اجل المدرسة .

- أعتقد ان الصبي سيرفض أن أقدم له حذاء جديدا .

- بل مؤكد جدا . لقد تساءلت : كيف يمكنني أن أقدم لهم أحذية دون أن أحرجهم ؟

لم يدهش "رايدر" على الإطلاق وسألها :

- وبعد ذلك ؟

- يمكن لـ"لوسي" أن تصنع "أحذية" ولديها جلد الوعل .

- وهل ستحصلين لها على جلد الوعل ؟

- اتعشم ذلك . لقد اجريت بعض المكالمات . وبعد ولادتها ساتحدث معها في ذلك .

بعد عدة دقائق أعلن "رايدر" في مرح :

- إننا لا نستطيع أن نساعد الجميع هنا يا "حنا" .

- عندما استقررت هنا سرعان ما تعلمت أن هناك أمورا لا يجب فعلها . فبعض الناس يبدون كبرياء عندما يحسون بانهم معدمون وهنا لست مكلفا بالتدخل .

- لماذا تصرين هكذا على اداء الخدمات ؟ وحسب ما امكنني استنتاجه خلال الأيام الأخيرة فإن مجمع التجارة يعطي غالبا اثمانا اكثر مما يحصل نقدا .

- إنه أمر يصعب شرحه .

- حاولي يا "حنا" .

كانت متعبة لدرجة لا تستطيع معها إخفاء الحقيقة .

- عندما قبلت وظيفة معلمة في "سان فرنسسكو" قلت في نفسي :

إنني اخيرا ساحقق كل ما كنت أريده : حريتي واستقلالي وحياتي الخاصة .

ركنت السيارة أمام مقطورة "رايدر" قبل أن تستطرد :

- عندما مرضت جدتي عدت إلى "بيكون ريدج" للعناية بها ووقتها ادركت إلى اي حد كنت مخدوعة . لقد كان لدي كل ما يلزمني في "سان فرنسسكو" ولكن لم احس بانني مفيدة . لم يكن أحد في حاجة إلي .

داعب إحدى خصلات شعرها وقال :

- وإذا قلت لك : إنني في حاجة إليك الآن ؟

- هناك الكثيرات من النساء غيري يا "رايدر" يمكنهن أن يمنحنك ما تبحث عنه وبكل سرور لانك رجل ساحر ولكني لست ممن تحب مغامرة الليلة الواحدة .

- ربما تجدين صعوبة في تصديق ما أقوله يا "حنا" ، ولكن اعلمي على أية حال انني لم تعد لي رغبة في علاقة واضحة .

- انت ترى الحياة التي تعيشها "لوسي" : هي الفقر واليأس . وهناك العديدات من أصناف "لوسي" في العالم .. أمي مثلا ممن وضعن كل آمالهن واحلامهن في رجل واحد دون تفكير في حريتهن الشخصية وليست لدي النية لأن افعل مثلهن .

- إن العلاقات الغرامية لا تنتهي كلها كما انتهت مع "لوسي" أو أمك يا "حنا" . إن والدي متفاهمان جيدا ومتعاونان اكثر مع أولادهما . و"جو اندرهيل" وزوجته يهتمان كثيرا باطفالهما ويكونان زوجين رائعين وبهذا اعلمي أن السعادة بين اثنين موجودة ثم ماذا سنفعل بشان ذلك الانجذاب الموجود بيننا ؟

- نتجاهله .

هز "رايدر" راسه وابتسم :

- إن هذا سيكون مثل تجاهل عاصفة رملية وسط الصحراء . انت

مخلصة جدا بالنسبة للآخرين فلماذا لا تكونين كذلك بالنسبة لشخصك؟

- بمعنى أن اترك العنان لغرائزي المنحطة وأن القي بنفسي بين ذراعي أول راعي بقر يظهر أمامي ؟ إن هذه بصراحة ليست طريقتي .

ضغط "رايدر" على يدها :

- أنا لست من النوع الذي يستقر للأبد في مدينة بسبب امرأة ومع ذلك تجدينني لازلت هنا . لقد حان الوقت للعب على المكشوف.

- إنني أقبل أن افكر في الأمر لو أجبت على سؤال ؟

- ما الذي تودين سؤالي عنه ؟

- ما الذي يدفعك إلى القيام بهذه المهنة وإلى التنقل دون انقطاع في نطاق البترول والتنقيب عن المناجم وأنت لست في حاجة إلى ذلك ؟

أحس "رايدر" بانها أعجزته بسؤالها :

- وما الذي يجعلك تعتقدين انني لست في حاجة لذلك ؟

- أنت نشأت في وسط ميسور الحال ماليا والمال يبدو أنه ليس هدفك الوحيد . إن المرء فقط عندما يحتاج إلى المال وهو صغير يعمل على تكديسه وهو كبير باكبر قدر ممكن . وهكذا ما دام الأمر لا يتعلق بالمظهر المالي فإنني شغوف أن أعرف ما الذي يدفع رجلا غنيا للبحث عن مزيد من جبال الذهب .

- من شهر كان من الممكن لي أن أجيبك وأن أخبرك عن الخوف من المستقبل أو روح المغامرة وتحدي المستحيل .

- والآن ؟

نظر في عينيها مباشرة :

- في الشهور الأخيرة لدي إحساس انه ينقصني شيء ما . لقد قلت لنفسي : إن ذلك ببساطة بسبب الشعور بالإحباط لأنني اقضي أوقاتا

طويلة خلف المكتب بينما عمالي يعملون فوق الحقول. أخرجت مقطورتي القديمة وانطلقت على الطريق: إنني اتصور أنني قد أعثر على نفس الإثارة التي أحسست بها ، في البداية عندما كنت أرحل بحثا عن آبار ضخمة للبترول وعروق معدنية غنية في المناجم .

- ثم وصلت إلى "بيكون ريدج" وهانا لا ارغب في السماح لك بالتنقيب في أراضي جدتي .. هل أنا مخطئة ؟

- هذا تقريبا الوضع . لقد اكتشفت شيئا مختلفا عند وصولي إلى هنا .

- بمعنى ؟

رفع "رايدر" عينيه عندما أحس برعدة في صوتها ابتسم خفيفا ولكن نظرته القلقة لم تخدعها .

- اعتقد أنك تعرفين الإجابة .

- حقا ؟

- بالتاكيد .

أمسك بيدها .

- أنت تعرفين جيدا أن هناك أمورا لا يمكن التحكم فيها . مثل الانجذاب والمغناطيسية التي بيننا .

- حسنا يا سيد "نايت" أرى أنك يمكن أن تصبح رومانسيا .

- إذا كنت تعتقدين أنني ساهمس كلمات حانية في أذنك وأغرقك بالزهور والحلوى فأنت مخطئة تماما لأن هذا ليس أسلوبي على الإطلاق .

همست :

- لقد أدركت ذلك . إن أسلوبك هو التورتة بالتفاح والعصافير الورقية . وبالمناسبة أين تعلمت أن تصنعها ؟

- أنت تغيرين الموضوع يا "حنا" ولنعد إلى موضوعنا وإلى الانجذاب الموجود بيننا .

- تكلم عن نفسك يا سيد "نايت" أما بالنسبة لي فإنني أحب أن أعرف كيف يمكن لمنقب عن بترول أن يحب صنع لعب ورقية .

- عندما كنت في المدرسة كنت أجد نفسي دائما منجذبا نحو نفس الصبي . كنت أراقبه وهو ينفذ كل أنواع الحيوانات بالورق وكان ذلك يسحرني . وقد انتهى الأمر بأن علمني أسس التشكيل الزخرفي بالورق . ثم حصلت على كتب عن هذا الموضوع والآن وقد أشبعنا فضولنا عليك أن تجيبيني : متى تبادليني الحب ؟

- ألا تعتقد أنك تسير أسرع مما يجب في مهمتك ؟ ثم ألا ترى أنك كنت مباشرا في طلبك أكثر من اللازم ؟ كما أن حديثك هو أغرب حديث سمعته في حياتي . ولابد أن أعترف لك بأنك تتمتع بالتفرد والغرابة وتستطيع أن تعبر عن مطالبك بوضوح .

- صدقيني لقد فكرت فيك في مختلف الأوقات وهناك أمر واحد يحيرني وهو : هل تفقدين صوابك عند لقائنا كما يحدث لي ؟

وجدت "حنا" صعوبة في التنفس وأخذ قلبها يدق بشدة والدماء تندفع في شرايينها لقد كانت على وشك الاختناق. كل حواسها كانت مثارة . ولاحظ "رايدر" ذلك وقال لها :

- دعي الحذر يذهب إلى الشيطان. إنني أوشك أن أصاب بالجنون .

كانت تعرف أنها تحبه وكانت تخشى أن يحدث لها ما حدث لأمها. ولكنها ليست مثل أمها وليس "رايدر" هو الرجل الذي جعل أمها تنجبها. إن الوضع بينهما مختلف تماما. ومع ذلك عندما التقت عيناها بعينيه أحست بالخوف يجتاحها عندما خطر ببالها أن الغلطة قد تصبح قاتلة .

أما هو فإنه يعرف أنها تجعله سعيدا . إن مجرد وجودها بجواره

يملأ فراغا تجاهله طوال حياته وبدأ يحس بالفارق به منذ عرفها .

لم يعد هناك أي مجال للمقاومة وكان عليهما أن يستسلما لسلطان انجذابهما لبعضهما البعض . خلقا لنفسيهما عالما لا صلة له بعالم الواقع وكان عليهما أن ينهلا من نهر الحب بعد طول مقاومة وألا يفكرا إلا في اللحظة الراهنة .

www.rewity.com

الفصل السابع

لأول مرة من سنوات عديدة تاخذ الامور على علاتها ، ولاول مرة يصبح الامر عندها سواء . لقد درست في الجامعة بهدف ان تقوم بالتعليم . ثم عندما بدأت ممارسة تلك المهنة فقد واجهتها تجربة تصبح مفيدة لشعبها من الهنود الحمر فيما لو عادت إلى "بيكون ريدج" .

وعندما سقطت جدتها صريعة المرض عادت "حنا" إلى بلدتها الأم الصغيرة ، وعند وفاة الجدة اختارت أن تبقى بالبلدة بعد أن حددت لنفسها اهدافا جديدة ، وعندما ظهر "رايدر" على غير توقع في حياتها اخذت الشابة تعيش حياتها يوما بيوم دون تفكير في الغد . وحاولت أن تستفيد لاقصى حد من كل ثانية من اجل الأيام التي لن يبقى لها فيها سوى الذكريات.

إنها لا تريد أن يشطح بها الخيال فتحلم بعلاقة دائمة .

إن "رايدر" لم يقل لها : إنه يحبها الحب الذي يمكن أن يدوم للأبد ويجمعهما برباط مقدس... ثم إنها لم تطالبه بذلك. لقد أرادت المصادفة أن يلتقيا وعليها أن تدع الأمور تجري في مجراها الطبيعي .

إنه أمام الشابة الوقت الكافي لتقرر اللحظة التي فيها يصبح حبهما أكثر جدية . وفي اليومين التاليين لاعترافهما بانهما عاشقان . مر "رايدر" على المجمع التجاري . وساعدها في فك وتفريغ الصناديق واحضر لها الغداء وللبائعات . وفي المساء ذهب إلى بيتها حيث اعدا العشاء معا وقضيا معا وقتا ممتعا . وبدلا من أن تهبط عاطفتهما بمرور الأيام فقد زادت قوة وتوهجا .

كانت الأمسيتان قد انتهتا بنفس الطريقة ، كان "رايدر" يغازلها برقة واستخدم كل سحره حتى اصبح من الصعب أن يبتعد كل منهما عن الآخر .

اكتشفت "حنا" لديه أمورا صغيرة مثل ولعه بالفلفل الأحمر اللاذع والقادر على ثقب اي معدة وشغفه الشديد بالنظام وقد تفوق عليها في هذه الناحية المشهورة عنها .

وهذا المساء عندما كانت تنوي غسيل الطماطم تمهيدا لإعداد السلطة وأرادت تناول السكين التي وضعتها بالقرب من حوض الغسيل من دقيقةلم تجدها ، وأخذت تمسح الغرفة بعينيها دون جدوى . احتارت وفتحت درج المفارش ووجدتها في مكانها المعتاد ، كيف استطاع أن يرتبها في مكانها بينما هو غير موجود في الحجرة ؟ صاحت وهي مغتاظة :

- "رايدر" !

سمعته يخرج من صالة الحمام حيث ذهب لياخذ دشا بعد أن قام بعلاج جراح جيادها ، وبعد لحظات وقف في إطار باب المطبخ وفي يده منشفة وقميصه القطني غير مقفل الأزرار وبنطلونه بدون حزام .

سالها :

- ماذا هناك ؟ هل انت مشغولة ؟

- لست ادري كيف استطعت وضع السكين في موضعه قبل ان أستخدمه . متى تتخلص من عقدة ترتيب كل ما يقع تحت يدك ؟

- لقد كنت اعتقد ان النساء يكرهن عدم النظام وما الضرر في الرغبة في وضع كل شيء في مكانه ؟

ردت عليه بحدة :

- لا شيء بالمرة . إنني لم انته من استخدامه لذلك وضعته على مائدة العمل وانت حين ادرت لك ظهري .. سارعت بإعادته إلى مكانه .

ابتسم واقترب منها والمنشفة حول عنقه :

- هل معنى ذلك انني أعتدي على اختصاصاتك ؟

- لا على الإطلاق وإنما هي طريقة لان أطلب منك ان تكبح جماح نزعاتك وتضع نهاية لهذه الهواية . على الاقل دع لي الوقت لان اتم ما اقوم به .

- ساعمل على تنفيذ طلبك يا عزيزتي . وماذا عن النزعات الأخرى هل لديك مطالب اخرى نحوها ؟

قالت له الشابة :

- إنني لا أوجه لك اللوم وإنما اطلب منك ان تكبح نفسك قليلا .

- كما تريدين ! ولكن لتعلمي كم انا سعيد عندما اعرف ان المراة التي احبها بجنون تشاركني نفس النزعات .

- لقد لاحظت ذلك خلال الأيام التي قضيناها معا .

سالها فجاة وهو يشعر بالقلق :

- ما الذي يزعجك يا "حنا" ؟ إنك تشعرين بالضيق هل انت في حاجة إلى هواء ؟ انت التي طلبت ان نلجا إلى هنا وقد تبعت نصائحك وتركت شاحنتي بجوار المقطورة حتى لا اثير الشكوك . افهم انك

تخشين الاقاويل ولكني لا اظن ان الناس أغبياء .

كانت فعلا تخشى الإشاعات حول علاقتهما . ولكنها ايضا كانت تخاف سيل الأسئلة التي ستنهال عليها فور رحيل "رايدر" . وكلما قل عدد الناس الذين يعرفون قلت الشروح التي عليها ان تخترعها .

كان من الصعب ان يكون لها حياة خاصة في بلدة صغيرة ولم ترغب "حنا" ان يقارنها القرويون بامها . لان ذلك لن يكون عدلا ولا صحيحا .

قالت شارحة وفي صوتها لمحة من تانيب الضمير :

- يلزمني وقت حتى اتعود الوضع الجديد . لست من النوع الذي يبدل الأثاث او الأشياء الثابتة . واحب دائما إعداد قوائم واحدد جدولا للمواعيد ثم إنني اعتدت الحياة بمفردي ولا اظن انني طيعة وسهلة الانقياد او التطبع مثلك .

- اتندمين لانك ارتبطت بي ؟

ابتسمت ابتسامة واهنة :

- لا .. ليس حتى الآن .

- ولكن هل تظنين انك ستندمين ؟

- ليس بالضبط .

- إذن ما الأمر بالضبط ؟

- "رايدر" !

قطعت "حنا" حديثها . إنها لا تعرف ماذا تقول وتجهل ما يجب أن يسمعه . اكتفت بان قالت :

- مادمت مصرا على ان تعرف .. فاعلم انني مجنونة بحبك ولست ادري ماذا افعل بك ؟

سالها :

- وماذا تنتظرين مني ؟

فكرت في نفسها في الحال: إن ما تريده منه هو ان تعيش سعيدة

للأبد. ولكنها حرصت على ألا تقول ذلك بصوت عال . إنه رجل يحب أن يعيش حرا ويعشق الترحال والتحدي والمغامرة. ولو ظهرت في صورة من تحب التملك لاختفى، وهذا اليوم سياتي بسرعة ولا داعي لأن تحثه على الهرب .

- لا تهتم يا "رايدر" . من الواضح انني لست متحررة. كما كنت اظن . وربما مع حمام "سونا" أتحرر من أشباح الماضي .

- آه .. ها !

قطبت "حنا" جبينها وهي تحاول ألا تفقد حبل الحديث سالته :

- ما معنى آه .. ها ؟

زادت عيناه قتامة ثم قال :

- إنك تظنين انني ساتركك بنفس الطريقة التي ترك بها والدك أمك وكما فعل زوج "لوسي" وبالطبع العديد من الأخريات . يجب علي أن أنال ثقتك ايتها الجميلة .

- إن الزمن كفيل بالتغيير .

بدا مظهر التهكم واضحا على "رايدر" وهو يقول :

- أنت متشائمة يا "حنا" رغم كونك امراة ذكية وذكريني أن اقول لك شيئا بعد العشاء ..إنني أريد أن أقول لك ببساطة : إنني لن اختفي من حياتك بهذه الطريقة ، ثم إنني أريد أن اثبت لك صدق كلامي .

- آه .. نعم ؟

- لابد أن اذهب لمقابلة ابي في بريطانيا العظمى في الأسبوع القادم وأريد منك أن تصحبيني .

- كيف ؟

ضاقت عينا "رايدر" عندما رآها تصيح هكذا :

- هل تشكين مشكلة في السمع ؟ لقد سمعت جيدا !

- أتريد مني أن أصحبك إلى إنجلترا ؟

قال وقد بدا عليه المكر :

- ها قد فهمت فما رأيك ؟

- لم الاحظ ابدا انه سؤال .

نظرت إليه وكانه فقد عقله ولكنها لو رفضت فستتساءل : هل هي التي فقدت عقلها ؟ ردت :

- لا أستطيع أن أرحل هكذا إلى الطرف الآخر من العالم دون سبب مقنع .

- بل هناك سبب وهو بسيط للغاية . ساتولى مصاريف الطائرة ويكفيك أن تجمعي حاجياتك لعدة أيام .

- حتى لو استطعت الرحيل - وهذا غير حقيقي - فلن أستطيع ذلك لسبب بسيط وهو انه ليس معي جواز سفر .

هز كتفيه بلا اهتمام :

- سنتوقف في "فينيكس" لاستخراج واحد .

فكرت أن كل شيء سهل عند "رايدر" . ولكن لسبب ما كان عليها أن تثبت له أن ذلك مستحيل .

- أنا لا أستطيع أن اذهب معك إلى إنجلترا يا "رايدر" فعندي الكثير من المسؤوليات . إنني لا أستطيع أن اترك كل شيء لمجرد نزوة .

ابتعد عنها وأسقط ذراعيه بجانبه :

- وهل أستطيع أنا ذلك ؟

- هذا واضح .

اقتربت منه بينما أخذ هو يتراجع .

- لقد مضى أسبوع وأنت في "بيكون ريدج" وهي بالتاكيد ليست البلدة المثيرة الوحيدة في "اريزونا" وقد اتيت أصلا من أجل أن أمنحك امتياز التنقيب .

- ثم رفضت وأحب أن أعرف كيف تفسرين لماذا بقيت هنا رغم

رفضك لعروضي ؟ ربما تظنين انني أردت ان اعيش مغامرة لتمضية الوقت او البحث على إغوائك بهدف ان تغيري رايك. اوشكت "حنا" ان توافقه على رايه وهي تعلم انه من الافضل الإنكار بهدف إنهاء تلك المحادثة. ومع ذلك فضلت ان تقول الحقيقة:

- لست أدري .

اخذ "رايدر" يتاملها وقتا بدا بالنسبة لها دهرا وكان تعبيره غير قابل للفهم ونظرته ذاهلة :

- ربما كنت على حق يا "حنا". لن يكون من الفطنة الرحيل إلى إنجلترا مع شخص غريب تماما. انت من الواضح لا تعرفينني كعاشق لك .

- انت مخطئ يا "رايدر" لأنك اعتبرت الموضوع شخصيا .

- وكيف ترين ان علي أن اعتبره غير ذلك ؟

- لست بمفردي وهناك العديد من الناس يعتمدون علي . والمجمع التجاري هو المحل الوحيد الذي يوفر الاغذية لمنطقة مساحتها تشغل دائرة قطرها ثلاثون كيلو مترا . ويجب علي ان انفذ يوميا الطلبات التي أرسلها للموزعين . وإذا لم تصل البضائع فإن العديد من الناس يعودون إلى منازلهم وايديهم فارغة وبعض زبائني لا يستطيعون الحضور إلى البلدة إلا مرة واحدة في الأسبوع . واحيانا مرة في الشهر . إنهم يعتمدون علي .

- إننا لن نتغيب سوى اسبوع وليس شهرا يا "حنا" .

فكرت في عمها "استيدي" فاصرت في عناد :

- إنهم في حاجة إلي هنا .

بدا وكان "رايدر" يقرأ افكارها .

- إنك تستطيعين الرحيل إلى الصحراء بضعة أيام من أجل تعلم صناعة الحلي الهندية، ولكنك لا تستطيعين الحصول على اسبوع

لمرافقتي إلى "لندن" . إن هذا يهبط بمعنوياتي كثيرا .. اليس كذلك ؟

- انت لست عادلا .

- ليست لدي نية أن أكون عادلا. اتخشين ان تغلقي المحل إذا لم تستطيعي خلال اسبوع ان توازني بين الدخول والمصروفات الشخصية ؟

ظلت الشابة فاغرة فمها قبل ان تهمس :

- وكيف عرفت ذلك ؟

أجاب بلهجة تعمد ان تكون رزينة :

- لقد حملنا مؤنا إلى عائلة "ماني" يا "حنا" في ذلك اليوم وهي تمثل عدة مئات من الدولارات. ومن الواضح انهم لا يستطيعون الدفع . وقد لاحظت أن نصف الزبائن يشترون بالأجل . وخلال الوقت الذي مكثت فيه في المحل لم أشاهد زبونا واحدا أتى ليسوي حسابه. ولابد بالطبع أن تتصرفي لتدفعي للموردين وإلا فلن يرسلوا لك بضائعهم. وأتصور إذن انك تدفعين لهم من راتبك الخاص وربما مدخراتك .

لم تلحظ "حنا" في نظراته أي شائبة من لوم ولا في كلامه ولا في صوته بل رأت في عينيه شخصا متضايقا ويحاول ان يخفي غضبه .

أرادت أن تدافع عن نفسها . كان عليها أن تجرح شعوره رغما عنها . إذا كان "رايدر" متوترا فإن ذلك يعني انه مهتم بها وكانت تامل ان يكون فعلا مهتما ولكنها في نفس الوقت لا تريد ان تتخلى عن واجباتها وأن يدفعها هو لذلك .

مدت له يدها وهي لا تعلم إن كان سيمسك بها أم لا :

- هل يمكن أن تاتي معي ؟ لدي شيء أريدك أن تراه .

- هل له علاقة بموضوع عدم رغبتك في اصطحابي أم تريدين فقط تغيير موضوع الحديث ؟

- لا .. لا .. إنه يخص نفس الموضوع .

حملت مصباح الكيروسين الموضوع على سطح مائدة العمل بعد أن هزته للتأكد من أن به سائلا كافيا ثم فتحت الباب من ورائها وخرجت.

سمع "رايدر" صوت احتكاك حذائها البوت فوق الرمال في الخارج . انتظر لحظات ثم تبعها وهو مقطب . كان لديه شعور انها ستنتصر عليه . إن "حنا" ستثبت له انها لا تستطيع أن تصحبه إلى إنجلترا وستجبره هكذا على الرحيل بمفرده تماما كما توقعت هي منذ البداية.

يلزمه إذن أن يقنعها انه سيعود مادام لن يستطيع أن يصحبها ويريد على الأقل أن يرحل وقد نال ثقتها .

لاحظ في الخارج انها تتجه نحو الكوخ الهندي خلف المنزل وليس ناحية الإصطبلات كما كان يعتقد عندما اقترب منها اكتشف انها تركت الباب مفتوحا .

خفض رأسه وهو يدخل حتى لا يصطدم رأسه بأعلى الباب .

علقت "حنا" المصباح على مسمار مثبت على أحد الأعمدة الحاملة للسقف المصنوع من الطين الجاف . كان هناك فرن يعمل بالخشب وله مدخنة للسقف يتوج وسط الحجرة سداسية الأضلاع. وجد منصة من الخشب بجوار الجدار وضع عليها مرتبة لشخص واحد ومغطاة بجلد الغنم . وكان هذا الكوخ يختلف عن كوخ "لوسي" في انه كان أقل اثاثا واكثر نظافة وترتيبا .

وقفت "حنا" بجوار مائدة مستطيلة . سمعته وهو يدخل فاستدارت وقالت :

- لقد رفضت جدتي هدم كوخها الهندي وقالت : إنها تحمل الكثير من الذكريات ولولا تمسكها بالذكريات لأحرقت الكوخ .

- حسب ما سمعته عنها فقد نجحت تلك السيدة في الجمع بين عالمين : القديم والحديث .

وافقته "حنا" بابتسامتها الحلوة :

- لقد كانت مخلوقة عتيقة التفكير في أمور معينة وحديثة التفكير لدرجة مذهلة في أمور أخرى . لم تكن لتحب القراءة أو الكتابة بالإنجليزية وتحب لغتنا . وبالنسبة لشخص مثلها لم تتحرك "بيكون ريدج" إلا فيما ندر ولم تتصفح أي جريدة ولم تشاهد التليفزيون ومع ذلك كانت على علم بكل الاكتشافات والاختراعات الحديثة . لقد كانت مولعة بعادات الأسلاف ومع ذلك لم تكن لتعترف بان عليها أن تعيش عصرها وكانت تنصت باستمرار لمحطة إذاعة "نافاجو" . كانت تعتبر عادات "نافاجو" مهمة جدا ولا يجب نسيانها ومع ذلك كانت تعمل على أن تطوع هذه العادات مع العادات الحديثة .

خفض "رايدر" عينيه وراقب المائدة . كانت فوقها حقيبة قديمة من الجلد محلاة بشراشيب بالقرب من علبة من البلاستيك وعلى غطائها علامة الصليب الأحمر . سألها :

- هل كل الأشياء الموجودة هنا تخصها ؟

- معظمها وأهم متعلقاتها دفنت معها . كانت جدتي تمارس السحر وكانت تحب علاج الناس ومخلصة تماما لشعبها وتعتبر ذلك أهم مظاهر الثراء .

- وهل معنى ذلك أن لديك موهبة علاج الناس ؟

- كم كان بودي أن أدعي أن ذلك بمحض اختياري وليس قصرا، ولكن لابد أن أعترف أنني وعدت جدتي بذلك .

حدجها "رايدر" :

- هل معنى ذلك أنك أصبحت طبيبة ساحرة بدورك مثل جدتك ؟

لمع وميض البهجة في عينيها :

- إنه ليس مثل وراثة مشروع عائلي . لم يحدث لي أبدا أن كان لدي الموهبة الفطرية الخاصة بالسحر ثم إنني صغيرة جدا على أن أكون طبيبة ساحرة ولا يجب أن أكون في سن إنجاب الأطفال.

سالها بصوت منخفض ونظرة صريحة :

- لماذا قدتني إلى هنا يا "حنا" ؟ انا لا الومك لكونك نافعة ولكني آسف لانك تنسين نفسك لهذه الدرجة وتضحين بنفسك من أجل الآخرين .

- انا لا امنحهم شيئا كبيرا .. لا شيء سوى النقود وبعض الوقت . إن الناس اهم من الحسابات في البنوك .

- انا لا اتحدث عن النقود يا "حنا" .

- آه .. لا ؟ إذن بماذا اضحي ؟

- بنا .

ابتعدت وهي تدلك ذراعها حتى تشعر بالدفء والآن وقد نزل الليل فقد بدا الجو يبرد ومع ذلك لم يحس الشاب بان ذلك يرجع إلى هبوط درجة الحرارة .

- إنه انت الذي سيرحل يا "رايدر" وليس انا .

- إنك لم تطلبي مني البقاء .

حدجته في دهشة :

- وهل كنت ستفعل لو طلبت منك ذلك ؟

رد عليها بلهجة حادة :

- هذا غير محتمل . لابد ان ارحل لمقابلة والدي لانني اتساءل : هل فقد صوابه هذه المرة ؟

نظرت إليه متسائلة :

- هل تعتقد ان والدك اصيب بالجنون ؟

ابتسم وهو يفكر في الرجل الذي يتفجر نشاطا والذي راه في الشهر الماضي . قال :

- إن الصحفيين الإنجليز يجدون متعة في وصفه بالغرابة .

حدثها بعد ذلك عن لعبة الشطرنج وشرح لها ان الرجل العجوز يدعي

رغبته في التخلص منها :

- لقد ذهب اخي "ميشيل" إلى هناك ولكنه لم ينجح في التعامل مع "كنج" لانه كان منهمكا في مسودات رسوماته . ولابد ان يصل "تيرنر" إلى هناك في غضون بضعة أيام ويجب علينا جميعا ان نجتمع حتى يمكننا ان نعيد والدنا إلى جادة الصواب .

- إنني افهمك يا "رايدر" إن عليك التزامات تجاه أسرتك وانا علي واجبات تجاه شعبي .

احس الشاب بالغيظ وكز على اسنانه . إنها تاخذ فراقهما بخفة واحس نحوها بالحقد :

- انت تعتقدين انني لن اعود ابدا . اليس كذلك ؟

اطلقت زفرة وامسكت المصباح قبل ان تتجه إلى الباب :

- لقد قتلنا الموضوع بحثا يا "رايدر" . ولا يوجد ما يمكن ان نضيفه وقد اغلق باب المناقشة .

ظل ثابتا في مكانه :

- ولكني اريد ان اقول الكثير حول علاقتنا وعن عدم ثقتك بي .

- لا يوجد شيء جاد بيننا يا "رايدر" . إن كلا منا منجذب بشدة نحو الآخر ولكننا سنجتاز تلك المرحلة .

- إن من يسمعك يظن أننا اصبنا بمرض . وإنني رجل سوقي دنيء بينما انت فارسة نبيلة .

قالت بلهجة حادة :

- لا تنطق هذه الكلمة !

- فارسة ؟ لماذا . إنها الحقيقة ؟

تارجح المصباح مثل بندول الساعة بينما دارت الشابة لتواجهه وقالت :

- ليست هذه الكلمة وإنما الاخرى !

www.rewity.com

- مرض ؟ أم مبتذلة ؟ أم الشفاء ؟

عندما رأى "حنا" ترتجف أدرك أنه كان يفكر بصوت مرتفع . سألها بلهجة ساخرة :

- أليس ما حدث بيننا مجرد استراحة عاطفية سريعة بين بالغين يحسان بأن النزوة لابد أن تمضي ؟ أتعتقدين أن التاريخ سيعيد نفسه ؟ وأنني ساهجرك ولكن ..؟

لم تتح له الوقت ليكمل عبارته وخرجت مسرعة من الكوخ . تبعها ولكنه عندما وصل للخارج وجدها تنفخ في الشعلة لتطفئها. صاح:

- اللعنة .. ماذا تفعلين يا "حنا" ؟

لم يحصل على إجابة .. ندم "رايدر" لأنه حدق في النور مما جعل على عينيه غشاوة ولا يرى شيئا في العتمة. أحس بنبش في الأرض بجواره ثم ساد السكون . أصاخ السمع وهو يحاول التأكد من أن الشابة لاتزال هناك :

- "حنا" ! لا تفعلي هذا وقولي لي أي شيء !

فرد ذراعيه خلفه حيث لمس جدار الكوخ . استدار وتقدم على أطراف أصابعه يتحسس طريقه. اصطدم طرف حذائه بشيء ما . انحنى ليلتقطه وكز على أسنانه عندما لمست أنامله زجاج المصباح الساخن :

- "حنا" ؟ اللعنة .. أين أنت ؟

ظل سؤاله بلا إجابة . لم يسمعها تسير ولكنه أحس أنها رحلت ... ألقى نظرة على ما اعتقد أنه الكوخ الملحق بالبيت . لو كانت هناك لما أطفأت النور .

أخذ المصباح ومرر يده الأخرى على جدار الكوخ الهندي محاولا العثور على باب الدخول. لابد أولا أن يعثر على كبريت بعدها سيلحق بـ"حنا" ويحدثها. ولكن "رايدر" بحث جيدا ولم يعثر على ما يشعل به المصباح . لمست أنامله مرتين ركن السرير واصطدمت ركبته اليسرى

بالجدار المصنوع من الحطب . سب ولعن وجلس على الفراش وراجع الاحتمالات التي أمامه .

كان الظلام دامسا لا يسمح له بالابتعاد فلوسار في الاتجاه الخطأ فقد يغامر بالوقوع وسط الصحراء والسماء أيضا كانت حالكة مثل القار ولا يرى بها شيئا .

لم يكن لديه حرية الاختيار . لابد أن ينتظر حتى شروق الشمس. استند على الجدار ومرر يده فوق غطاء السرير . منحه جلد الغنم دفئا ولكن باي ثمن ؟ لقد كانت تنبعث منه رائحة مقززة حتى تساءل عن الزمن الذي مر عليه منذ سلخه من الحيوان. لقد بدا أن الليل سيكون طويلا .

الفصل الثامن

عادة كانت "حنا" ترقب أول خيوط الفجر لأنها بالنسبة لها كانت علامة على بداية جديدة مع توقعات جديدة وإمكان التحسن . وكانت جدتها تدعي دائما انه من الصحة النهوض مع الفجر . وكانت السيدة العجوز في كل صباح تخرج من كوخها وترفع عينيها إلى السماء وتقول :

"اليوم ساعيش في خير" ولأول مرة أحست "حنا" بذلك الشعور وهي تراقب أشعة الشمس الأولى وألقت برأسها للخلف وأغلقت عينيها وأعلنت بصوت عال وبلغتها الأم "اليوم ساعيش في خير" .

كانت قد خرجت من بيتها مبكرة أربع ساعات وسارت نحو الكوخ الخاص بـ"استيدي" . بعد أن تركت "رايدر" لمصيره التعس. أخذت تتسكع في المنزل وهي تتارجح بين الحزن والغضب . وفي النهاية جلست بالقرب من نافذة الصالون وأخذت تتامل العتمة وبعد فترة

من الزمن وجدت أن السحب التي تكاد تخفي القمر قد تفرقت وأصبح الليل صافيا . إنها تستطيع أن تذهب إلى "استيدي" بسهولة نظرا لأن بغلتها "جونيبر" تعرف الطريق . وكانت قد أعدت المؤن التي كانت تسعد العجوز وانطلقت في الطريق .

خلال الساعات الأولى من الرحلة نجحت في إقناع نفسها أنها لا تبحث عن الهرب من المشاكل . لقد وضعت تلك المشاكل جانبا وابتعدت ببساطة عن "رايدر" .

في الساعة الثالثة من الرحلة أدركت "حنا" أن الاتهامات التي وجهها لها "رايدر" قد حفرت في ذهنها وقلبها وحملتها معها. وفي الساعة الرابعة والأخيرة اقتنعت أنها إذا كانت قد جرحت من كلامه فإن ذلك يؤكد ما كانت تشك فيه من قبل وهو أن "رايدر" كان يعتبر علاقتهما مجرد مغامرة بسيطة أكثر مما كانت تعتقد أنها قصة حب . وعندما عبر بصوت مرتفع عما كانت تظنه في سرها أحست أنها تزعزعت ، وظلت كلماته الأخيرة تتردد وتطن في رأسها كصدى صوت ثقيل . ومع ذلك فإن تلك المغامرة قدمت في نفس الوقت مظهرا إيجابيا . إنها الآن تفهم أن أمها لم تتردد في الثقة بتعليمها الجيد لتظل مع الرجل الذي تحبه ، ويمكن القول هكذا إن "حنا" تركت الرغبة تجتاحها وتطغى على العقل دون تفكير في العواقب ، وأصبحت بعدها شاكرة لـ"رايدر" أنه اتخذ احتياطاته في أول لقاء حب بينهما وهي لن تغامر بأن تصبح نادمة مثل أمها .

عند شروق الشمس كانت بمفردها في الصحراء وحققت اكتشافا. لاحظت أنها كانت تلوم دائما أمها لأنها بدت ضعيفة ووقعت في حب ساحر نذل . ولأول مرة تحس "حنا" بتانيب الضمير على ذلك المسلك . إنها في وضعها الحالي ليست في حالة تسمح لها أن تحكم بما يجب أولا يجب . منذ أن التقت بـ"رايدر" أصبحت أقل تعصبا وتشددا .

حين هبط غضبها وآلامها اعادت التفكير في "رايدر". وادركت فجاة انها اغاظته وضايقته ومن الممكن انه هو ايضا تصور انها تعتبر علاقتهما مجرد مغامرة بلا عواقب . ثم اعادت التفكير في رد فعلها وتساءلت : عما إذا كانت قد اساءت تفسير اهدافه ؟ ربما كانت اعصابها توترت واعتبرت ان علاقتهما ليست ذات اهمية.

أمسكت الشابة باللجام بيد ورفعت اليد الأخرى لتحك عينيها المتعبتين ، كان المفروض أن رحلتها القصيرة تربط بين افكارها المعتمة . ومع ذلك كلما مضى الوقت بدا الموقف بالنسبة لها يزداد تعقيدا . لقد رحلت فجاة بعد ان قضت ليلة في نوم عميق . وكان من الأفضل لو بقيت وشرحت لـ"رايدر" بصراحة كل شيء . لقد قالت لها جدتها دائما : إنه من الأفضل الدفاع عن افكارها بدلا من الهروب من المحتوم .

تساءلت : اين يمكن ان يكون "رايدر" الآن ؟ من المحتمل انه عاد إلى مقطورته ويستعد لمغادرة البلدة . وهي لا تستطيع ان تلومه . لقد حاول أن يتحدث معها وتركته هكذا دون كلام يتخبط في الظلمات .

ارتجفت البغلة وهزت راسها عدة مرات ، مالت "حنا" وخففت عنها اللجام وقالت لها :

- ماذا هناك يا "جونيبر" ؟ هل لدينا صحبة ؟

لم تدهش او تصب بالفزع . كل انواع الحيوانات تتسكع في الصحراء عندما يبرد الجو ، والحيوانات التي تظل في الملاجئ اثناء النهار وقت أن تكون الحرارة شديدة تنتظر الليل لتنطلق بحثا عن الغذاء . وهذه ليست أول مرة تقابل حيوانا يمشي على أربع . ومع ذلك حذرتها غريزتها أن الأمر لا يتعلق بحيوان . شدت الشابة اللجام لتوقف البغلة . امتد أمامها شق ضيق بين صخرتين متوازيتين إن تعبره يتبق امامها مسافة قصيرة حتى تصل إلى "استيدي" .

مسحت ما حولها بعينيها وظلت ساكنة في مكانها وهي تنتظر اي

صوت غير عادي . لم تنتظر طويلا . سمعت صوت سنابك جواد فوق الصخرة يتردد في السكون .

قفزت "حنا" من فوق مطيتها وقادتها نحو كهف واسع وعندما اصبحت في مامن استدارت لتراقب الطريق الضيق . لم تخرج بندقيتها من جرابها وإنما ظلت واضعة يدها عليه .

في أول مرة صحبت فيها "حنا" جدتها إلى "استيدي" . لاحظت أن "دون سكايلارك" كانت دائما حذرة . في البداية كان يتبعهما صحفيون وبعض بائعي الحلي . عندما انتشرت الإشاعات حول اختفاء "استيدي" ثم اختفت اصبحت جدتها اقل حرصا . كانت "حنا" محاطة دائما بالحيطة والحذر ولكنها كانت تفضل بعد ذلك أن تسافر بالليل عندما يكون الهواء عليلا .

سمعت صوت اصطدام حدوة حصان بنهاية الصخرة . تلا ذلك ضجة خافتة تعرفت عليها . إنها خطوات أقدام صهيل الجواد وردت عليه البغلة . دهشت وهي تسمع صوتا مالوفا يناديها :

- هل أخذت بندقية "ديزي" معك ؟ أرجوك احفظيها فانا منهك ولست على استعداد لتلقي رصاصة في جانبي .

- "رايدر" ؟

استطاعت أن تحدد من صوته أنه على الجانب الأخر من الصخرة على بعد ثلاثة أمتار . رد عليها :

- ومن غيري ممن لديه الغباء الشديد حتى إنه يتبع امرأة عنيدة ساعات طويلة من الليل ؟ لحسن الحظ أن إخوتي ليسوا هنا ليروني. لابد أنني ساحكي عن ذلك طوال ما بقي من عمري .

خرجت الشابة من مخبئها بعد أن تركت لجام بغلتها رأت في البداية جوادها "سترواميت" وفهمت كيف استطاع "رايدر" أن يتبعها بسهولة. إن الجواد يعرف الطريق مثل البغلة تماما لأنه قطعه مرات عديدة . ظل

"رايدر" فوق السرج وواصل الجواد طريقه إليها .

بدا "رايدر" قويا وضخما وهو مرتد نفس ملابسه المكونة من چينز قديم حائل اللون وصدار جلدي أسود أما السترة التي خلعها فقد علقها بجانبه على السرج . وضع يدا في جيب بنطلونه وامسك اللجام بالثانية بينما أخفت حافة قبعته عينيه . صاحت :

- أنت لست غبيا يا "رايدر" ! أنت فقط لا تحس بالمسؤولية على الإطلاق . كان من الممكن أن يضل "سترواميت" الطريق . الا تعرف انه من الخطر المغامرة بمفردك وسط الصحراء عندما لا تعرفها ؟

ظل "رايدر" صامتا مدة دقيقة كاملة ثم دفع قبعته للخلف أخيرا قبل أن يقول بصوت ضعيف متحشرج :

- إلى هذه الدرجة تقلقين علي ؟!

- لم أعد واثقة بشيء . ثم هل سألت نفسك لماذا كنت التقي بك ما لم أكن أهتم بك ؟ هل من أجل سواد عينيك ؟ إنني أسحب كل ما قلته لتوي يا "رايدر" أنت غبي لا محالة .

بدا أن صوتها كان يزعج الجواد بدلا من الفارس الذي ظل في حالة عدم المبالاة . ذهبت نحوه ونزعت اللجام من يده حيث قادت الجواد بجوار البغلة. لم تفلح هذه الحركة في الإقلال من حدة غضبها لقد حان الوقت أن يكفا عن لعب العيال وأن يتصرفا بنضج. ليس معنى أن "رايدر" أخذها على غرة أن تفسد كل شيء. لقد سعدت برؤيته ولكنها كانت لاتزال مرتبكة . دست كفيها في جيبي الچيب وذهبت للقائه. كان "رايدر" قد غير وضعه في لمح البصر ووجدت نفسها وجها لوجه معه :

- إنني انوي العودة في الحال . لقد احضرت بعض المؤن لـ"استيدي" .

رد عليها بهدوء :

- وكيف لي أن أعلم ؟ في المرة السابقة التي اختفيت فيها مدة ثلاثة

أيام جعلتني أشك أنك ستعودين هذه المرة .

نظرت إليه بعينيها التي تتطاير منها شرر الغضب :

- بعد رحيلك العاصف ظللت أقلى على نار القلق إلى أن أدركت أن ضوء القمر عاد ليسطع بعد زوال السحب . ذهبت بعد ذلك إلى الكوخ ولكنك لم تكوني هناك ولما كانت سيارتك الچيب موجودة فقد استنتجت انك رحلت على ظهر جواد . لقد مررت بتجربة رهيبة وانا أحاول أن أسرج الجواد وأنا أتحسسه في العتمة .

أطلقت "حنا" زفرة طويلة وقالت :

- لم يكن من الواجب علي أن أهرب .

- هذا مؤكد !

نظرت إليه نظرة قاتمة وقالت :

- أنت لا تسهل الحياة علي يا "رايدر" . ومع ذلك كنت مستعدة لأن أقدم لك اعتذاري .

خلع قبعته ومرر يده خلال شعره وقال :

- لست مضطرة للاعتذار يا "حنا" . إنني فقط أريد أن أفهم لماذا تصرفت ذلك التصرف ؟ أعرف إلى أي مدى تخشين أن تعيشي قصة حب معي بعد ما حدث لأمك . ولكنني أعتقد أن رغبتك كانت أقوى من خوفك ولكن من الواضح انني كنت مخدوعا . إنني أريد أن أعرف عواطفك نحوي . ومن هذه النقطة يمكننا التفاهم .

قالت بصوت يشوبه مسحة من الحزن :

- كل شيء سهل بالنسبة لك .

ابتعد "رايدر" عن الصخرة والقى بقبعته في الهواء وامسك بوجه الشابة بين يديه وقال لها :

- إنك تحسين بأن الأمور صعبة لأنك تكتمين عواطفك بين جوانحك ولكني لم أعد أريد التخمين وإنما أريد الحقيقة.

خلف ملامح الإرهاق التي راتها في عينيه اكتشفت "حنا" مدى حزنه. دهشت لذلك في البداية ثم أحست برعب قاتل . لقد خشيت أن تخفي عواطفها لدرجة أنها لم تنتبه إلى عواطفه .

انهارت الحصون التي أقامتها للدفاع عن نفسها ولم يعد بيدها شيء. إنها متعبة لدرجة الإنهاك وربما لهذا السبب لم تكف عن أن تقول لنفسها : هل يحس بشيء نحوها ؟! على أية حال لقد خرج باحثا عنها . إنه إذن يحبها كما تحبه . ربما كان قد خرج للبحث عنها بدافع الشهامة ولكنها تحبه على علاته وذلك ما يزعجها أيضا . كان الأمر سيكون سهلا لو تعاملت مع وغد وليس مع رجل مهذب وشريف . قالت له :

- أنت تخيفني يا "رايدر" .

كان الشاب ينتظر أي كلام إلا هذا الإعلان .

- كيف هذا ؟ اللعنة يا "حنا" ولكني لم أسبب لك أي ضرر وإذا لم تدركي ذلك فإن الوضع أصبح خطيرا بدرجة أخطر مما كنت أعتقد .

- المسالة ليست ما تعتقده أنت . لقد غضبت لدرجة الجنون لأنك مهم جدا بالنسبة لي . ثم إن كل شيء حدث بسرعة رهيبة . لقد فكرت هذه الليلة واكتشفت ما أخشاه وهو ألا أصبح بعد ذلك حرة في اختياراتي وأن أتغير بطريقة لا رجعة فيها وأن أفقد اهتماماتي للأبد . أنا واثقة بك ولكني لست واثقة بأن أستطيع حبك .

خلع "رايدر" قبعتها حتى يتمتع بجمالها على ضوء الفجر البازغ خاصة جمال عينيها .

- ليس هناك ما يدعو لأن تتغيري ولا لأن تتخلي عن أي شيء يا "حنا" . ليست لدي نية أن أحرمك حريتك وأرى أن علاقتنا هي مشاركة . لست مثل أبيك يا "حنا" وأنت لست مثل أمك .

ابتسمت الشابة في حزن :

- هذا ليس صحيحا ! أنا مثل أمي وقعت في حب مغامر .

تخشب جسد "رايدر" ثم استرخى . أضافت :

- ليس هناك أية علاقة بينك وبين الرجل الذي جعل أمي تتعذب. وهذا ما أعرفه من أول يوم . لقد خدعها لأنها لم ترغب أن تتبعه إذا لم يتزوجها وعندما تزوجها رحل ولم يعد أبدا .

أخذ "رايدر" ينظر إليها ورأى مدى وحشية عاطفتها. كان دائما ما يتأثر عندما تعترف له . والآن وهو يعرف المزيد عن ماضيها اعتبر قبولها إقامة علاقة معه بمثابة معجزة . همس لها :

- ليس هناك ما يخيفك مني .. إنني لن أضرك أبدا .

خفض بصره ليتأمل أعماق عينيها بدا وكأن ضوء الفجر يضيء روحها . إنها لحظة اكتشاف وغزو . أحست "حنا" بأن الأرض تميد تحت قدميها تحت سحر نظراته التي كانت تلتهمها . قال هامسا :

- إن ما يحدث لك شيء رائع يا "حنا" . ما يحدث لكلينا وليس لك بمفردك .. إنه أقوى من الرغبة ولم يسبق لي أن أحسست مثله من قبل، ولم يحدث لأي إنسان . ولو وجدت كلمات لعبرت عنه ولكنني لم أعثر عليها بعد .

ولكن الخوف يقتلها وهي تعلم أنه سيرحل إلى بريطانيا العظمى . ولكن لما كانت تحس أنه لا يشاركها نفس قوة عواطفها فليس من حقها أن تطلب منه البقاء كان عليها أن تعود إلى أرض الواقع عندما سمعته يقول :

- إنني لا أستطيع الاستغناء عنك يا "حنا" ولا أريد لقصة حبنا أن تنتهي .

همست وهي تسند رأسها على كتفه :

- ولكن ماذا ستفعل ؟

إنها لم يسبق لها أن طرحت هذا السؤال على أحد حتى على جدتها

على أية حال لو طرحت السؤال على جدتها "دون سكايلارك" لأجابتها أن عليها أن تجد الرد على سؤالها بنفسها .

ظل "رايدر" صامتا . إنه هو أيضا لا يحب الإجابة. ابتعد عنها وانتصب واقفا ثم قال :

- إن هذا ليس نهاية القصة يا "حنا" وإنما بداية جديدة أنا محتاج لك .. أريد منك أن تصبحي جزءا من حياتي عندما تنتهين من زيارة عمك سنتحدث في ذلك مرة أخرى .

صمت لحظات قبل أن يضيف :

- أم أن هذا كثير أن أطلبه منك ؟

- أريد أن أظل معك ولكن أخشى أن يكون ذلك مستحيلا .

- لابد أن يكون لديك ثقة يا عزيزتي ! إن الرجال ممن هم على شاكلتي على استعداد لمحاربة الدنيا من أجل حب محبوباتهم .

كانت "حنا" تصدق كل كلمة مما يقول دون أي تردد . همست :

- يا بطلي !

قال بفخر :

- هل معنى ذلك أنك تقصدين ما تقولينه حقا ؟

هيا بنا لنقابل "استيدي".. لقد حان الوقت لتقدميني لأسرتك .

دارا حول الصخرة وذهبا لإحضار الجواد والبغلة. أعطت "حنا" اللجام الخاص بـ"سترميت" لـ"رايدر" وهي تقول له :

- إن خيمة "استيدي" على الجانب الآخر من المفرق بين الجبلين. إن معي مؤنا وأعشابا طبية للروماتيزم أعطيه إياها . إن طول الزيارة سيعتمد على مسلكه نحوك . لم يكن "رايدر" واثقا إن كان العم سيستقبله بذراعين مفتوحتين أم لا ولكنه لم يكن يتصور أن "حنا" ستدعه يزوره لو علمت أنه يمكن أن يستقبله وطرف بندقيته موجه نحو صدره . ولكن المؤكد أنه يمكن أن تكون مخطئة .

الفصل التاسع

عندما عبرا المفرق - بين الجبلين - شاهد "رايدر" خطا من الدخان يرتفع من كوخ هندي وسط البراري . شاهد عن بعد بعض السحب فوق قمة الجبل ولكن الشاب رأى أنها لن تمطر . كانت "حنا" تسرع الخطو ولكن حين وصلا بالقرب من الخيمة وقفت حتى يلحق بها . خلعت الشابة سترتها ومدتها إلى الأمام . سألها "رايدر" :

- هل هناك . ما يسوء ؟

هزت رأسها :

- اعتقد أنه من الأفضل أن تعرف بعض الأمور قبل أن نمضي قدما . إن "استيدي" ظل طوال حياته تقليديا ومن غير الأدب أن تناديه باسمه وهو أيضا لن ينطق اسمك .

- وكيف أناديه ؟

- عمي !

- ولكن هذا ليس صحيحا .. لا توجد بيننا أية صلة قرابة .

www.rewity.com مرموزية

- إنه ليس عمي أيضا .. ليس بالضبط . ولكنه أكبر أفراد عشيرتي سنا وهو ما يعادل عندكم معنى الأسرة الكبيرة .

- هل هناك أمور أخرى لابد أن اعرفها ؟

- سنرى كيف سيستقبلك فلم يسبق لي أن قدمت له كائنا ما كان .

بهذه الكلمات أحس "رايدر" انه قد تحسن .

- وانت ماذا ستقولين له ؟ من الأفضل ألا تقولي له : إنني عمك يا عزيزتي !

- سنرى ما سيحدث .

لازمها "رايدر" في خطواتها وهو يتعشم أن يكون التمهيد باللغة الإنجليزية . إنه يريد باي ثمن أن يعرف كيف ستقدمه للعجوز "استيدي" ولكنه عندما فكر في الأمر أدرك انه سيواجه نفس المشكلة مع والده عندما يصحبها لتقديمها له في إنجلترا .

أوشك "رايدر" أن يفقد توازنه عندما أدرك كم هي مهمة تلك الشابة عنده . إنها تمثل كل حياته والآن وقد عرفها كان من المستحيل عليه أن يعود ليعيش بمفرده في "هوستن" . إنه عاش لها . أحس إذن بشيء ما يتفكك داخله .. لقد اختفى للأبد ذلك التوتر الذي تملكه منذ رحيله بحثا عن "حنا" . تأمل ظهرها المستقيم وضفيرتها الكثيفة السوداء . إن "حنا كوربيت" فتاة ذات عقل راجح وتعشق خدمة الآخرين .. إنه يحبها .

ولكن هناك تغييرات أيضا في المنظور العام للأمر إنه تحد أن يقنع "حنا" بان تظل بالقرب منه .

ابتسم وهو ينظر للسحب وفكر في كيفية تبادلهما الحب وجنونه. إنها تحبه بنفس العمق والقوة مثله ذلك الحب الذي كان في البداية مجرد انجذاب وتحول إلى شيء أقوى من الانجذاب. إنها تورثه الجنون عندما تكون بالقرب منه وتشعره بمدى رجولته وحريته لقد أدرك وهو مذهول انه مستعد - من أجلها - أن يغير تماما نمط حياته . إن عليه أن يتحول من حياة الترحال إلى الاستقرار بصورة مؤبدة في مكان واحد وقد أسعده ذلك . قد لا تصحبه إلى بريطانيا العظمى ولكن

المؤكد انه سيعود ليجدها . أوقفت "حنا" بغلتها بعنف وتاملت التربة امامها .

سالها "رايدر" :

- ماذا هناك ؟

شدت "حنا" الطرف الأيسر من اللجام وحولت البغلة :

- إنه خط من دقيق الذرة .. لا يمكن أن نعبره .

- آه .. حسنا .. ولماذا ؟

- لقد سبق وان اخبرتك أن "استيدي" يعيش كما كان يعيش اسلافه.. إن الخط عبارة عن طقس مقدس المقصود به تحقيق الحماية.

ظلت عيناها ناظرتين لأسفل واستطردت :

- إن عمي يترك دائما فتحة وببساطة يجب العثور عليها .

تامل "رايدر" الهيكل السداسي الموجود عن بعد منهما وخيط الدخان المتصاعد من فتحة في السقف هو الدليل الوحيد على وجود حياة بداخل الكوخ . أما الباب الخشبي فقد كان مغلقا . قال :

- من الواضح انه لا يشجع الناس على الدخول وزيارته . همست دون أن تضيف شيئا لعبارتها :

- إن دقيق القمح هو حماية مقدسة .

حاول "رايدر" أن يشاهد هذه الذرات الدقيقة ولكن دون جدوى.. وفقط عندما أطلقت "حنا" صرخة فرح ودفعت بغلتها للأمام عرف أنها عثرت على الفجوة الوهمية في نظره. عندما دقق النظر شاهد خطا من البودرة البيضاء والصفراء تشكل ذلك الخط المقدس .

عندما اقتربت الشابة صاحت بضع كلمات وتردد صوتها على البعد. ولم تنتظر الرد وإنما تقدمت في طريقها . على بعد حوالي عشرة أمتار من المبنى نادت مرة أخرى بلغة لم يفهمها "رايدر" .

بعد ذلك أوقفت "جونيبر" وتقدم الشاب إلى جوارها . لم تقم باي حركة لتقفز من فوق المطية وظلت صامتة فوق السرج وعيناها مثبتتان على الباب . بعد عدة دقائق . عندما لم يحدث شيء .. استدار "رايدر"

نحوها وسالها بصوت هامس :

- والآن ماذا سنفعل ؟

أجابت بهدوء :

- ننتظر .

- ربما لا يكون بالداخل .

- بل موجود .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- بسبب الدخان

بعد عشر دقائق في اللحظة التي اراد فيها "رايدر" ان يقترح عليها أن تذهب وتطرق الباب . انفتح الباب وخرج سيد شعره مثل الملح والفلفل حيث ظل واقفا على عتبته . ادرك "رايدر" ان "استيدي" في نفس طول "حنا" وكان يرتدي بنطلونا من الجلد وقميصا له كمان طويلان وعليه مطبوع صور مكررة من اللآلئ المطرزة فوق الصدر . وانتعل حذاء "بوت" من الفرو يصل إلى ركبتيه ومحلى بشراشيب وقد احاط جبهته بشريط من القماش الأبيض . اغلق الباب خلفه وقد بدا عليه عدم الأمان وكانت عيناه سوداوين وبشرته برنزية مخططة بتجعيدات محفورة راجعة إلى الشمس والهواء وتقدم السن. وكان انفه المعقوف يؤكد مدى نبل محتده . كان "استيدي" رجلا مؤثرا ، وقد احس "رايدر" بالرهبة منه. لاحظ الشاب انه يرتدي سوارا ضخما وعريضا من الفضة عند رسغه عندما رفع يده اليمنى وهو يعقد اصبعه السبابة مع الوسطى وراحة يده متجهة إلى السماء .

ادت "حنا" نفس الحركة ولوحت بيدها بحيث تشمل "رايدر" . تحدث معها الرجل العجوز بخشونة واجابته بهز راسها . تامل "استيدي" "رايدر" بإمعان عدة دقائق ثم بحركة من راسه ومن يده اشار لهما انهما يمكن أن يضعا اقدامهما على الأرض .

فكت "حنا" الجراب الجلدي من فوق البغلة ووضعته على كتفها واتجهت نحو عمها . لم يتحرك "رايدر" . سمع "حنا" توجه الحديث إلى

"استيدي" وهي تحمل الجراب امامها وكذلك الأجولة التي تحتوي على المؤن . لابد انها تخبره عما احضرته له . هز "استيدي" راسه ولكنه لم يخلصها من المؤن . كان اهتمامه مركزا على "رايدر" والذي فحصه من أعلى راسه إلى أسفل قدميه وقد تجعد وجهه اكثر من المعتاد من تاثير عدم الثقة . غمغم بضع كلمات جعلت الشابة تبتسم . القت "حنا" نظرة على "رايدر" من فوق كتفها وأعلنت :

- إن عمي لا يستلطف ان ارتدي بنطلونا من الجينز وهو يسمي ذلك "فتاة ترتدي مثل الصبيان" . لم يكن "رايدر" مؤيدا رايه لكنه امتنع عن التعليق . إن "حنا" تستطيع ان ترتدي ما يحلو لها من ملابس فهي في عينيه فاتنة باي وضع .

نظر إليه "استيدي" ثم كلم "حنا" بصوت خافت بدت وكانها تحتج ولكن الرجل العجوز رفع يده واسكتها .

تساءل "رايدر" : عما يمكن ان يكون قد قاله العجوز ؟ ولم يطمئن عندما نظرت إليه "حنا" . بشكل نادم ويائس قبل ان تدخل إلى داخل الكوخ الهندي بينما كان العجوز يتجه نحوه ليقابله .

حاول "رايدر" ان يقنع نفسه انه يسعى ببساطة للحديث معه . لاحظ مع بعض الخوف انه رغم تجاوز العجوز سن الثمانين فإنه لايزال قويا ومشيته تدل على العزيمة . تساءل : "رايدر" عما إذا كان سيطرده دون مقدمات؟

حدج العم "رايدر" بنظرة حادة ووقف على بعد متر منه قبل أن يهز راسه. حرك "رايدر" راسه أيضا في الحال وبنفس الطريقة دون ان تترك عيناه وجه العجوز. ومع ذلك فقد احس بالخجل مثل طالب الجامعة في حضور العميد .

قرر "استيدي" اخيرا ان يعبر شفاهة وبالإنجليزية :

- إن ابنة ابن اختي اخبرتني انك رجلها. هل هذا صحيح ؟

تريث "رايدر" بضع ثوان حتى فهم انه يقصد "حنا" وحاول خلال لحظة ان يكبح فرحته لانه ادرك انها قدمته له دون مواربة على انه

خطيبها .

- نعم .. هذا صحيح !

للمرة الثانية هز العجوز رأسه ثم بدأ يمشي وقال :

- تعال !

انضم إليه "رايدر" وهو يتساءل : ماذا يمكن أن يدور في ذهن "استيدي" ؟ لقد ندم على أن "حنا" لم تشرح له كيف ستسير الأمور في هذا اللقاء . لو ساله العجوز عن نياته نحو الشابة التي هي ابنة ابن أخته لبدأ في الحديث في الحال . كان يفكر في ذلك وهو يشعر بالقلق . لقد كان منهكا بعد ليلة ليلاء ولايزال لديه نفس المخاوف التي أحسها عندما فقد "حنا" ، والآن وهو يتقدم في المنطقة المكشوفة يتعشم أن ينال موافقة رجل اختار أن يعيش في عزلة . اقتربا من المنطقة التي فضلت "حنا" أن تقف بجوارها دون أن تعبر خط دقيق الذرة ، وأدرك "رايدر" أن "استيدي" يسير الآن خلفه. وقف وانتظر في صبر. لم يكن يعرف هل اختراق هذا الخط ممنوع عند خروجهما من أرض العجوز ولم يكن ليرغب في المخاطرة . جاء "استيدي" ليقف بجواره ونظر إليه نظرة اخترقت روحه ثم استانف العجوز السير . فكر "رايدر" أنه من الواضح أنه قد نجح في أول اختبار وحسب التقاليد الموروثة عن الأجداد فقد أثبت له الشاب أنه يحترمه . وفي المقابل حصل على تقدير رجل الثمانين عاما .

خطوا معا بضع خطوات عندما استانف "استيدي" الحديث ، دهش "رايدر" أيما دهشة حتى إنه تعثر في حزمة من الأعشاب الجافة . قال العجوز :

- أنت تحترم تقاليدنا .. وهذا حسن . وكل الناس ليسوا على شاكلتك . وأنت لم تحاول أن تقطع السكون بأحاديث مصطنعة وهذا أيضا حسن .

- كان من الممكن أن أعبر خط دقيق الذرة لو لم تحذرني "حنا". وهناك العديد من العادات والتقاليد التي لا أعرفها ولا أشعر بالضيق

لأنني أجهلها . ولكن صدقني إنني لا أقصد ذلك .

وافقه "استيدي" قائلا :

- إنني لن أغضب من ذلك . إن الصغيرة لها قلب كبير ولكن لابد أن تحذر من الطفل العاري والذي يحمل القوس والسهم . إنها في حاجة إلى شخص يرعاها بينما تكرس نفسها من أجل شعبنا . ظل "رايدر" شاردا عدة ثوان في الطفل العاري ذي القوس والسهم إلى أن أدرك أن "استيدي" يقصد الحديث عن "كيوبيد" إله الحب . أما الصغيرة فهي - دون شك - "حنا" . أجاب بهدوء :

- سابذل قصارى جهدي . إنني أريد أن أعيش معها للأبد. ومع ذلك لست واثقا إن كانت تشاركني نياتي أم لا إن أمامنا بعض المصاعب لابد من التغلب عليها .

- إن الأمر ليس مهما لهذه الدرجة .

وضع العجوز يده على قلبه . قال "رايدر" :

- إن القلب ليس المشكلة ولا اختلاف الثقافة ولكن حياتها هنا وحياتي في "هوستن" هي المشكلة .

حدثه باختصار عن مشروعه وعن كل العمال الذين يحتاجون إلى العمل ويعتمدون لذلك عليه . هز "استيدي" رأسه مرة ثانية واكتفى بأن قال بمكر :

- إن القلب ينتهي دائما بأن ينتصر .

عندما اقتربا من الكوخ لمح "رايدر" "حنا" في إطار الباب كانت تدك شيئا ما دون أن تغادر نظراتها الرجلين وعندما رأتهما يقتربان دخلت إلى داخل الكوخ .

عندما توغل "رايدر" إلى داخل الكوخ . ساده إحساس وكأنه يتحول في الزمن ويعود إلى العصر الذي كان فيه شعب "النافاجو" مقطوع الصلة بالرجل الأبيض .

كانت "حنا" تقلي فطائر بيضاء فوق موقد له مدخنة وسط الحجرة وكان الدخان يتصاعد في كل اتجاه دون تحديد ويتسرب عن طريق

فتحة في السقف. كانت الشابة قد رفعت ضفيرتها كالتاج ولفت شعرها في شبكة من القماش الأبيض . فهم "رايدر" انها تخشى ان يؤثر اللهب وبخار الدهن على شعرها . أحس أن الرجل العجوز يراقبه فابتعد بانظاره عنها .

جلس "استيدي" على الأرض مثلها وطلب من "رايدر" أن ينضم إليه . كانا جالسين في الجهة الغربية عكس الباب. وقد شرحت له "حنا" فيما بعد أن هذا هو مكان الشرف بالنسبة للضيف . قدمت لهما الفطير المقلي ثم بدأ "استيدي" يتكلم :

لم يستطع "رايدر" وهو يستمع للرجل ذي الثمانين عاما إلا أن يقارنه بالسد الذي تخدم فتحاته العديد من القنوات .

قص عليه "استيدي" كيف علم "الصغيرة" العمل في صناعة الحلي والمعادن الثمينة . وأدرك "رايدر" كم يعاني العجوز الوحدة حتى وإن كان قد اختارها طواعية ورغب في أن ينعزل عن العالم . لو كفت "حنا" عن زيارته في رأى "رايدر" فلن يفقد العجوز المؤن فحسب وإنما أيضا سيحس بوحشة بدونها وعندما أراد الهروب من الإذلال والاستغلال أصبح سجينا في وحدته . و"حنا" هي صلته الوحيدة بالعالم.

تساءل الشاب : هل له الحق في أن يبعد "حنا" عمن هم في حاجة ماسة إليها ؟ وهي التي تعرف تماما كيف تكتسب ثقة الناس . وهي التي حولها ولاؤها غير العادي - سواء الذي أخذته عن جدتها أو ولدت به - إلى وجود حيوي في هذا المكان ولهذا الشعب.

ابتسمت "حنا" ابتسامة ضعيفة وهي تلاحظ أن "رايدر" كان يركز عينيه عليها . كانت جالسة في الجزء الجنوبي من الكوخ وهي ترص المؤن التي أحضرتها وعندما انتهت من مهمتها جلست على الأرض وأسندت ظهرها على الجدار المصنوع من الحطب وأخذت تستمع إلى "استيدي" وهو يشرح باختصار لـ"رايدر" عن مكونات صناعة

الصياغة.

فكرت أن كل شيء سار في مجراه الطبيعي . مرة أخرى يبدو عمها في البداية منغلقا على نفسه وكأنه يندم لأنه قبل أن تحضر له الطعام. في العادة كان يظل صامتا حتى نهاية الوجبة . وبعد ذلك يظهر حاجته إلى الإفاضة عما بداخله . سأل "رايدر" أولا عن حياته ثم قص عليه كل أنواع الحكايات والأساطير ، كل ذلك وهو يعلمه كيف يصوغ الفضة . على أية حال هذه المرة لديه مستمعون جدد وقد دهشت لدرجة كبيرة عندما رأت الرجلين يعودان من نزهتهما وهما يثرثران . كان جانبها "النافاجو" سعيدا لرؤية "رايدر" وقد تلقى موافقة العجوز أما جانبها "الانجلو ساكسوني" فيدفعها إلى عدم الالتفات إلى هذه التفاصيل . وقد أحست بالارتياح لأنها غير مضطرة لأن تنقسم إلى قسمين أو تنحاز إلى جانب دون الآخر .

كانت الليلة الليلاء التي قضتها وهي تصارع عواطفها قد استنفدت كل ما لديها من قوة. ثنت ركبتيها وحنت رأسها بينهما . أطلقت زفرة طويلة وهي مغمضة العينين ثم استرخت. عادة ما كانت تحصل على يوم راحة قبل أن تتخذ طريق العودة . إنها تحتاج بأي ثمن إلى أن ترتاح لحظات إذا أرادت الرحيل في نهاية المساء عندما تخف حرارة الجو . قبل أن تستغرق "حنا" في نوم عميق سمعت "استيدي" يضحك ثم يسعل عدة مرات ويقول :

- لقد قلت للصغيرة: ألا تدخل الكوخ مادامت لا تستطيع أن تنتج ريشة كاملة . طوال النهار وهي جالسة تحت شجرة البلوط وتضرب الفضة وكأنها عدو لها . وعندما تعتبر الفضة صديقا ستظهر الريشة ولكنها صلبة الرأس .

رد عليه "رايدر" :

- ولكنها طيبة القلب .

# # #

استيقظت "حنا" بعد عدة ساعات وادركت انها بمفردها . كانت كل الأدوات والأشياء خلفها قد اختفت. انتفضت واقفة وسمعت ضجة مالوفة عن بعد . وابتسمت . إن "استيدي" قد نشر علمه . لقد أوشك "رايدر" أن ينسى زائرته . إن العم "استيدي" رغم ادعائه يكره مصاحبة الرجال فقد بدا انه اغرم إلى اقصى حد بـ"رايدر" واعترفت هي ايضا انها اغرمت بـ"رايدر". ولم يبق سوى ليلة واحدة على رحيله. لقد اكد لها "رايدر" انه سيعود وهي صدقته ولكنها كانت تخشى الا تتحمل أن تراه خلسة بين ترحالين. يجب عليها أن تقطع وبسرعة إنها تستطيع أن تختار علاقتها مع "رايدر" وتقبل أن تظل ممزقة باستمرار بسبب الفراق المستمر والمتكرر أو أن تهجره مرة واحدة وتتجنب العذاب .

شجعتها ضحكة "استيدي" على النهوض والتوجه إلى الباب . اقتربت "حنا" منهما حيث كانا جالسين تحت ظل شجرة على بعد عشرين مترا منها. كان السندان أمام "استيدي" و"رايدر" يراقبه. طرق "استيدي" شريطا من الفضة بالجزء المكور من الشاكوش. - إنني أتساءل يا عمي : ما الذي يبهجك إلى هذه الدرجة ؟.. إنني أعتبر ذلك كله متعبا .

اشار العجوز إلى "رايدر" :

- إنه هو .. إنه يحاول الكلام بلغتنا وقد اختلطت عليه الكلمات ويقول كلاما يقصد به شيئا آخر .

رفع "رايدر" عينيه نحوها :

- كل ما فعلته هو تكرار الكلمة التي ينطقها مع الإشارة إلى الأداة التي يستخدمها .

- وما الذي قاله لك ؟

كرر "رايدر" نفس الكلمة وانفجرت "حنا" ضاحكة حتى أوشكت أن تختنق . قالت له :

- لقد فهمت المشكلة .. لقد قلت : إن الخنزير له ضرع جاموسة.

ابتسم الشاب . وقال :

- آه .. على الأقل عندما أشاهد خنزيرا لن أقول : إن له ضرعا .

زمجر "استيدي" ورفع "رايدر" ذراعه في محاولة جديدة. كان السوار بمقاس ممتاز ولكن "استيدي" أخذه منه. لم تنتظر "حنا" أن يدعواها للعمل وإنما اتجهت نحو حفرة في الأرض وبدأت تعد النار .

رأى "رايدر" بكل إعجاب كيف يثبت "استيدي" قطع أحجار التركواز ببراعة على السوار . أصبحت النيران حامية لدرجة تسمح بصهر قطعة الفضة التي لابد من صياغتها . لم تنته صناعة السوار إلا عندما بدأت الشمس تغيب وبعد أن نالت رضاء "استيدي" التام . وضعها "رايدر" حول معصمه الأيسر وأخذ يعجب بالعمل الفني .

أخذ "استيدي" يزمجر في مكر وجمع معداته بينما أطفأت "حنا" النيران . أدرك "رايدر" أن الشابة أخذت وقتا طويلا في إزالة قطع الفحم المحترق . لقد بدت يقظة بدرجة تثير الإعجاب منذ أن انضمت إليهما بعد التعسيلة التي نالتها . وعدا الحديث حول الخنزير والضروع لم تقل كلمة واحدة زيادة .

انتظر "رايدر" حتى يذهب العم في النوم ليسألها :

الفصل العاشر

كان من الواجب على "رايدر" أن يتراجع عن الحديث مع "حنا" هذا المساء . كان قد انتهى من تناول لحم الضان المشوي في تلذذ بعد الظهر عندما ارتدت سترتها وهي تسأل "استيدي" : ماذا يريد من مؤن في المرة القادمة التي تأتي فيها ؟

نعس "رايدر" بسبب نقص النوم والاستماع إلى قصص العم وهو يراقب "حنا" على ضوء النار . إن فكرة رحلة مدة أربع ساعات على ظهر الجواد لم تسعده كثيرا في تلك الساعة المتأخرة. كانت الرياح في الخارج تهب بينما الجو رائع داخل الكوخ الهندي . ثم إنه اهتم بإحضار خشب التدفئة مدة ساعة وأحب أن يبقى حتى يتم احتراق كل كتلة من الخشب . إنه يحلم بليلة من النوم العميق بعد أن تناقش مع "حنا" وتعشم أن ينهي الليلة بطريقة مقبولة . سألها دون أن يتحرك :

- لماذا تستعجلين ؟

قالت وهي تجمع الحلي التي انتجتها تحت مراقبة "استيدي" :

- لقد أخبرتك هذا الصباح أن لدي نية العودة بعد تسليم المؤن.

- هذا كان قبل ...

سكت فجأة وقد أدرك أنهما ليسا بمفردهما ثم أكمل بطريقة غير حاذقة :

- قبل أن أنضم إليك .

- هل نسيت أن أمامك طائرة لابد أن تستقلها ؟

همس :

- كلا لم أنس، ولكني لا أظن أنك تستعجلين التخلص مني .

نهض "استيدي" برشاقة رجل في نصف عمره وأشار إلى الباب بأصبعه قائلا :

- أنت تعتني بالجياد أيها الرجل الأبيض . وأثناء قيامك بسرجها ساقول للصغيرة عما ستحضره لي في المرة القادمة .

هم "رايدر" بالاعتراض ولكن "استيدي" هز رأسه بعصبية نحو الباب:

- اذهب . لقد صنعت لك سوارا من الفضة هدية والآن امنحني هدية الطاعة والاحترام .

نهض "رايدر" على مضض ونظر إلى "حنا" ثم استأذن في الانصراف. عندما أغلق الباب خلف الشاب التفتت "حنا" نحو "استيدي" :

- إنني لا أريد الجدال معك يا عمي . وأعرف ماذا أصنع .

- وأنا كذلك أعرف ماذا تفعلين ! أنت تطردين الرجل الأبيض حتى قبل أن يفكر في الوداع . وبصفة عامة إنني سأسمعك . هل تأملين حقا يا صغيرة تحقيق عبارة "التخلص منه" ؟

تقدمت "حنا" بضع خطوات قبل أن تواجهه وهي متجهمة :

- ألست أنت القائل: أن أفضل طريقة للوصول إلى العمل هو تنفيذه؟ لا داعي لتأجيل ما هو محتوم .

حدجها "استيدي" متفرسا وأحست أنه أوشك أن ينزع عنها روحها وقال :

- أتعتقدين حقا أنه سيهجرك ؟ أنت تفعلين كما لو كنت تضعين

مرهما على جرح لم يحدث بعد . إن الإنسان يهرب من مكان عندما يجد مكانا افضل. ولدي القدرة على استنتاج ذلك .

صعقت "حنا" تماما من هذا الاعتراف حتى إنها تساءلت: هل ندم "استيدي" على انه عاش كل هذا الزمن من عمره كناسك

إنهما يعرف كل منهما الآخر من زمن بعيد ولم تجسر على اختراق المسافة التي وضعتها بينهما من البداية . كانت تظهر له الاحترام وتبدو له مؤدبة ولم تجرؤ في يوم ما أن تساله بصراحة عن حياته .

لقد انفصل "استيدي" عن العالم ويتحمل ذلك لأنه برغبته . إنه لم يرغب التخلي عن مبادئه ورفض دائما أن يقبل اي تسوية او حل وسط . وبدلا من أن يقبل عرض قطع الحلي الفضية توارى وراء كرامته المجروحة . قالت له بحذر :

- عمي ؟

منعها من الاستمرار :

- نحن لا نتحدث عني .. لقد ارتكبت عدة غلطات ويمكنك الاستفادة من تجربتي . إن الرجل الأبيض في حالة مالية ممتازة وهو يحترم تقاليدنا . وهو ينظر إليك بعيني القلب . والبقية لا تعتمد إلا عليك ولكني عندما تاملتك وجدتك تحطمين قلبه.

لم تحاول الشابة إخفاء آلامها :

- ربما يكون الوقت قد فات ...

- ليس بالضرورة أن يكون الوقت قد فات . إن الإنسان عندما يصبح وحيدا لا يبقى له سوى الندم . والآن لا يزال امامك الخيار فانتهزي الفرصة .

صمت فترة ثم بدأ يردد اغنية "نافاجو" .

ساصير دائما سعيدا ولن يمنعني عن ذلك شيء .

ساسير والجمال من أمامي ومن خلفي وفوقي وتحتي ..

انقطع صوته قبل انتهاء الأغنية ولكنه لم يكن في حاجة لتكملتها. فالشابة تعرفها وابتسمت له :

- إنني اتذكر هذه الكلمات يا عمي .

فتح "رايدر" الباب وأعلن :

- الجوادان جاهزان يا "حنا" !

هزت راسها وتبعته إلى الخارج وأمسكت بلجام البغلة ثم استدارت نحو "استيدي" الذي كان يتاملهما على بعد عدة أمتار منهما :

- ربما أستطيع العودة بعد بضعة أسابيع يا عمي !

هز العجوز قبضته ثم عقد ذراعيه على صدره علامة على الحب . ردت عليه بنفس الحركة وابتسمت ثم امتطت "جونيبر" . توجه "رايدر" نحو "استيدي" :

- لقد سعدت جدا بمعرفتك وشكرا على السوار . هل يمكنني الحضور مع "حنا" في يوم من الأيام ؟

- مرحبا بك في أي وقت .

ابتسم "رايدر" :

- ربما استانفنا دروس تعلم لغة الهنود الحمر .

نظر "استيدي" إلى "حنا" ونطق بعض الكلمات بلغة "النافاجو" وابتسامة على ركني فمه وقالت "حنا" :

- انت الآن تتحدث لغة جديدة .. لغة مختلطة .

ضحك "رايدر" وقلد حركتهما السابقة تعبيرا عن المحبة . عند وصولهما في الصباح عندما عقد العجوز أصبعيه ورفع راحة يده إلى السماء وقلدته "حنا" .

غمغم "استيدي" ثم استاذن في الدخول .

امتطى "رايدر" "سترواميت" وتوجه نحو المفرق بين الجبلين. ظلا في طريقهما إلى أن وصلا إلى خط دقيق الذرة فوقفا ليلقيا نظرة أخيرة على الظل الرفيع الذي أصبح الآن وحيدا في كوخه . عندها استدار العجوز بسرعة ودخل كوخه وأغلق الباب خلفه . انطلقت "حنا" أولا في الطريق وتبعها "رايدر" . لقد سعد بمعرفة هذا الجواهرجي الغريب المتقوقع على نفسه . إنه كذلك رأى "حنا" بنظرة جديدة في دور سيدة

البيت . لقد أدرك مدى أهمية حضورها إلى "استيدي" ولا شك أن هناك العديد من الناس غيره يعتمدون عليها في الغذاء وربما في الاحتفاظ بالاتصال بالعالم الخارجي.

فكر إذا كانت "حنا" قد نجحت في تغيير حياة "استيدي" فإنها تتلقى الكثير في المقابل . إنها تماما مثل جدتها محبة للغير . وليس من حقه أن يطلب منها التخلي عن كل ذلك . إن الشابة ستعاني لو فعل وستحس بالغربة .

غربت الشمس خلف أحد التلال عندما توغلا في المفرق الجبلي . وجد "رايدر" صعوبة في أن يتخيل أنهما استطاعا في نفس هذا اليوم دخول كوخ "استيدي" المقدس في وضح النهار والآن يسيران في طريقهما في ظلام المفرق الجبلي وعليهما أن يواجها المشاكل التي تركاها وراءهما قبل الحضور إلى "استيدي" .

ومع ذلك بعد ساعة من الرحلة لم يعثر بعد على الإلهام ثم خطر بباله أنه لا يستطيع اتخاذ قرار بمفرده بينما المشكلة تخصهما معا . لكز مطيته حتى يلحق بها . ثم سألها :

- ماذا ستفعلين لو نعست فوق جوادي وسقطت على الأرض ؟

أجابت عليه بسخرية :

- هذا يتوقف على الضجة التي ستحدثها .

همهم :

- رائع !

تأمل ما حوله ثم أعلن :

- لست أدري إن كان من وحي خيالي إنني أحس بأن هذا ليس نفس الطريق الذي سلكته عند القدوم أم لا .

- فعلا .

- إنه طريق مختصر ! من فضلك خبريني أنه طريق مختصر .

- رغم التعسيلة التي حصلت عليها فانا لازلت مرهقة ولذلك أردت أن أعرف مدى تعبك، سنتوقف ونستريح عدة ساعات .

- الايزال الطريق أمامنا طويلا ؟ أجيبي بعدد الدقائق وليس الكيلو مترات .

- هل يمكنك أن تستريح فوق السرج مدة خمس عشرة دقيقة ؟

- هل هذا بالضبط كل ما سأناله ؟

ابتسمت له وأحست أنها ممغنطة من بريق عينيه. أمسكت أنفاسها وهي ترى تعبير وجهه يتغير . وكأن غلالة رفعت من على وجهه وكشفت بوضوح عن العواطف التي يحسها نحوها .

همس وهو مشدوه تماما :

- "حنا" !

اتسعت ابتسامتها :

- انتظر حتى نصل إلى الكوخ .

بدا يرتجف من شدة ولهه.. يا إلهي ! كم هو محتاج إلى هذه المرأة جسديا وعاطفيا وعقليا وبكل الطرق الممكنة ! وإذا استطاعت أن تحل لغز الومضات التي تلمع في عينيه فإنها ستحس بمثل ما يحس.

أحدث "سترروميت" ضجة عالية بسبب صهيله المزعج مما عاد بـ"رايدر" إلى أرض الواقع . رفع عينيه وتأمل محبوبته التي سلبت قلبه بيديها الصغيرتين . سألها بهدوء :

- لماذا أخفيت عني ؟ إن من حقي تماما أن أعرف .

- لقد أردت أن أنتظر حتى نصل إلى المقطورة حتى أصارحك بما أحسه نحوك . ولكن كما يحدث دائما إنك الذي تقرر دائما كل شيء ومع ذلك كان من الواجب أن أكون قد تعودت على هذا السلوك من جانبك .

قال لها أمرا بوحشية من شدة الانفعال :

- قوليها الآن !

- أحبك !

- أوه يا "حنا" لم أكن واثقا بأن تلك الكلمات يمكن أن تخرج في يوم ما من فمك .

اعترفت قائلة :

- إن احتمال اعترافي بحبك كان قليلا . ولم اكن لانوي ان اقولها لك قبل رحيلك لانني لم ارغب أن تحس بالتزامات نحوي .

- التزامات ؟ إن ما احسه نحوك من عواطف يجعلني لا احس باية التزامات وحتى لو وجدت فهي تهون في سبيل حبك يا "حنا" يا حياتي ! أتعشم ألا يكون المكان الذي نقصده بعيدا .

طرفت عدة مرات برموش عينيها حتى تعتادا ضوء النهار وبعد أن التفتت حولها ردت عليه :

- هل ترى تلك الصخرة الضخمة عند سفح التل ؟ إن الكوخ على الجانب الآخر منها .

- يا إلهي ! إنها بعيدة جدا .

- لم يبق امامنا سوى خمسمائة متر نقطعها وامامك فقط ما يكفي لتقول لي : هل تحبني أم لا ؟!

- انا احبك يا "حنا كوربيت" ولا يمكن أن استغني عنك .

- كرر كلامك يا "رايدر" !

- انت تصيبينني بالجنون .

عندما اقترب من الصخرة رفع رأسه وكرر :

- انا احبك .. احبك .. احبك يا "حنا" وسأثبت لك ذلك . استسلمت لهذه الدوامة اللذيذة والسحر الذي يجمعهما .

أخذ يلكز الجواد ليحثه على الإسراع وتقلص جسده أمام الإثارة . إنه لم يعرف من قبل مع أي امراة مثل هذه الأحاسيس . ولم تفلح أي امراة في أن تظهر أعماق إحساساته بمثل هذا العمق والسعادة وعظمة العاطفة . إن كونه يعرف أنها تحبه بمثل هذه القوة جعلت نظامه العصبي كله يغلي .

عندما وصلا إلى أمام الكوخ شد اللجام ليوقف الجواد وقفز هو إلى الأرض . عندما فهمت "حنا" انه يريد أن يجعلها تقفز من فوق البغلة بمفردها أحست برقبته وتعلقت بها فرفعها وانزلها إلى الأرض دون أن

تتركه . دست رأسها في صدره وسارا بخطوات سريعة إلى الكوخ . ارتجفت لأنها أصبحت الآن تحت رحمته . كان الكوخ المقام كاستراحة في الطريق إلى البيت يختلف عن الكوخ الهندي الخاص بـ"استيدي" في أن الأول كان مزودا بعدة نوافذ تسمح بدخول الضوء . عندما دخلا . لاحظ "رايدر" وجود سرير من أسرة معسكرات الجيش الحديدية التي تطوى وتفتح حسب الأحوال وعليه غطاء صوفي مغزول بطريقة "النافاجو" ومسنود على جانب الجدار . ووجد ايضا كليما من الصوف مصنوعا ايضا على طريقة عشيرة "النافاجو" ، كان مرهقا قد حل عليه التعب ، أما "حنا" فكانت تجر ساقيها بكل صعوبة . ألقت بنفسها على السرير واستغرقت في الحال في النوم أما هو فقد نام على وسائد ارضية فوق السجادة "النافاجو" ونام نوما عميقا وهو بكامل ملابسه. وعندما نادته هامسة وكانها تحلم لم تسمع سوى تنفسه العميق الهادئ والرتيب . فعادت إلى نومها الخالي من الأحلام .

كان واضحا انهما في حاجة إلى النوم اكثر من الكلام ولكن بعد فترة ليست بالقصيرة استيقظ فجاة عندما وجد انه في حاجة إلى إنهاء ما يقلقه . سالها :

- لا تستمري في النوم يا حبيبتي . لابد أن نتناقش .

ردت عليه بعدم اكتراث وهي تتثاءب :

- عن اي شيء ؟

- عندما نصل إلى "بيكون ريدج" فلابد ان ارحل إلى إنجلترا.

حاولت أن تفتح عينيها والتقت بعينيه وقالت بصوت يشوبه النعاس :

- اعرف هذا تماما . وافهم انك مضطر للذهاب .

- ولكنك تعلمين انني ساعود باسرع ما يمكنني . أليس كذلك ؟ وانني احبك وانني متمسك بان اعيش معك ؟

- افعل ما يجب عليك أن تفعله . وعند عودتك ستجدني دائما في استقبالك .

كان من الواجب على "رايدر" أن يسعد لأنها قبلت رحيله ولكن لهجة التصميم في صوتها اقلقته .

- ما الذي يمكن أن يكون اقنعك ، إن امامنا الفرصة وعليك ان تسمحي لنا بانتهازها ؟ فرصة للوصول إلى تحقيق الحلم ؟

- إنها كلمات "استيدي" . لقد قال لي : إنني كنت أحاول التخلص منك بينما انت ليست لديك النية ان تهجرني وبفضله عرفت كم كنت مخدوعة في ظني وانني كنت اسارع بوضع المرهم على جرح لم يحدث بعد وإنني افسد لحظات ثمينة من الممكن أن اقضيها معك . لقد كنت اضيع وقتي في التساؤل : عما يمكن أن افعله عندما ترحل بينما كان من الواجب أن انتهز فرصة وجودك.

- إن على كلينا اتخاذ قرارين مهمين لابد من اتخاذهما واريد أن اتاكد تماما من أن كل شيء واضح قبل رحيلي .

سالته "حنا" وهي تامل أن يردد على أسماعها ما تحب أن تسمعه :

- عن أي شيء يتعلقان ؟

إنها لن تمل من سماع كلماته . قال لها :

- حاليا لا أريد أن أعدك بسمك في ماء ولكني لا أريد أي منافسة امامي عند عودتي . قد تقولين : إنني لست في وضع يسمح لي بوضع شروط مسبقة لانني لم البسك خاتم الزواج ولكن الأمر هكذا.

أحست بحمل ثقيل يوضع على صدرها عندما ادركت انه لا يريد أن يخطبها . أمسكت "حنا" بالكلمة الوحيدة التي لا مكان لها في الحديث : "منافسة" .

- منافسة ؟ ماذا تقصد ؟

قال بصوت ممطوط :

- نعم .. اقصد منافسة الرجال الآخرين . ليس عليك أن تخافي من ناحيتي . ساعود في أسرع وقت ممكن فور تسوية سوء الفهم العائلي.

تصلب فك "حنا" وقالت له :

- أعرف انك في حاجة إلى أن ترتاح قبل استئناف الطريق ولكني

افضل أن نستانف الطريق عائدين في الحال . فامام كل منا الكثير لينجزه .

تثاءب "رايدر" . إن مجرد فكرة النهوض من نومته تزعجه أيما إزعاج وقال :

- اعتقد انك على حق ولكن عديني أن نعود إلى هنا مرة ثانية .

قالت هامسة وهي تسوي ملابسها وشعرها :

- كل شيء ممكن .

لاحظ "رايدر" نغمة غريبة في صوتها ولكنه كان مشغولا بما كان بينهما من اعتراف بالحب ، حتى إنه عزا ذلك إلى شعورها بالإحباط. كان عليها أن تحزن مثله تماما لرحيله المحتم ولكنه ذكر انه متى يلحق بمكتبه فإنه يعود باسرع ما يمكنه . في حركة نشاط مفاجئة. نهض وسوى من هيئته لقد كان ذهنه مشغولا بامرين او ثلاثة لابد من تسويتها . قال لها :

- سيكون رحيلي أسرع لو تركت المقطورة هنا . هل تجدين إزعاجا لو تركتها راكنة في ممتلكاتك بدلا من أن اضعها في محطة خدمة السيارات ؟

- لا إزعاج على الإطلاق .

كان "رايدر" منهمكا بشدة في مشروعاته وقراراته إلى جانب تعبه حتى إنه لم يلاحظ الحزن الذي ارتسم على وجه "حنا" . كانت تقوم بربط أزرار معطفها عندما امسك بذراعها وسحبها إلى الخارج ثم رفعها لتجلس فوق البغلة وبسرعة اوشكت معها أن تفقد توازنها . لقد كان من الواضح انه لا يطيق صبرا على الرحيل .

بعد ستة أيام وضعت "حنا" كومة أوراق جرد المخزون وأخذت تحك عينيها. كان قيامها بعد أنابيب الأسبرين الموجودة على رف المخزن قد جعلها في حالة من التعب تحتاج فيها إلى استخدام الأسبرين .

إن بيع العقاقير الطبية في المجمع التجاري بدا لها فكرة حسنة ولكن عملية جرد المخزون كانت شاقة ومزعجة . طبعا لو حصلت على

ليلة كاملة من النوم الجيد لكان الأمر أسهل . ولكن مر أسبوع كامل لم تغمض فيه عينيها من الناحية العملية .

في كل مرة توشك أن تستغرق في النوم كانت صورة "رايدر" - كما راته في آخر مرة - تظهر أمامها دون توقع. تذكرت: بعد أن قام "رايدر" بركن المقطورة بجوار الإصطبل تقدم نحوها وطبع على خدها قبلة سريعة قبل أن يقفز وراء عجلة قيادة شاحنته وظلت هي ثابتة دون حركة في الممر فترة طويلة ومن يومها لم تصلها أية أخبار عنه .

استدارت "حنا" نحو "ديزي" التي كانت واقفة عند مائدة التسليم عندما قالت :

- هل تحبين أن أقوم بتكملة المهمة ؟

- شكرا لقد أوشكت أن أنتهي وشكرا على أية حال .

- لقد تعودت العمل الشاق باستمرار يا صغيرتي ولكن في الأيام الأخيرة تجاوزت الحدود . أنت تطلبين منا إنجاز جزء من العمل وتقومين أنت بكل شيء بمفردك .

- أنت تعرفين أنني أحب أن أظل مشغولة يا "ديزي" !

- إنني أعرف أنك تنامين قليلا منذ رحيل الرجل ، هذا ما أعرفه .

ردت عليها وقد اتخذت موقف الدفاع :

- لدي أمور كثيرة في ذهني الآن .. إنني أفكر في بيع قطع جلد الوعل مثل تلك التي وجدتها من أجل "لوسي شافيز" وقد سمعت نساء كثيرات يعلن : أنهن يرغبن في صناعة أثواب جديدة من أجل الحفل الراقص القادم . ولو كان لدينا جلد الوعل هنا فلن يجدن ما يدعوهن إلى الذهاب إلى "جالووب" أو "فينكس" لإحضار ما يلزمهن .. ما رأيك ؟

- أعتقد أنك تغيرين الموضوع . هل صحيح أنهم حضروا لقطر المقطورة الخاصة بالرجل الأبيض أمس ؟

كان صوت "ديزي" يحرقها وهي حية .

إن الموضوع الذي تطرقه لا يحتاج إلى المزيد من العذاب . ردت:

- نعم .. هذا صحيح . هناك شخص من شركة "وايلد كات للتنقيب"

دس ورقة تحت بابي يخبرني أن السيد "نايت" كلفه بجر المقطورة إلى ورشة بالقرب من "فينكس" .

- لقد رأى "بيلي شي" المقطورة تمر من أمام محطة خدمة السيارات .

- ألم تصلك أخبار من الرجل الأبيض منذ رحيله ؟

- نعم .

التقت عينا "حنا" بنظرات "ديزي" القلقة :

- غريب أنك لم تقولي لي يا "ديزي" : إنني سبق أن حذرتك وأنا شاكرة لك ذلك وأعرف أيضا أنك لا تحبين مني أن أقيم علاقة معه. هزت "ديزي" كتفيها :

- إنه ليس سيئا وهناك من هم أسوأ منه ولكني أجد الأمر غريبا أن يختفي هكذا . لقد أخبرتني أنه ذهب للقاء أبيه في إنجلترا. ولكن ألا يوجد تليفون هناك ؟

جمعت "حنا" كروت المخزون . لقد تجاوزت مرحلة إيجاد أعذار لغيابه.

- إنهم متحضرون من قبل أن توجد الحضارة في أمريكا وعندهم تليفون وخدمة بريدية وفاكس . وهناك دائما وسيلة للاتصال بأي شخص في "بيكون ريدج" عندما يجد ما يستلزم الاتصال به .

بحكم السن لم تجد البائعة غضاضة في أن تقول :

- ولكن أراك ثائرة !

ابتسمت "حنا" في ضعف :

- لقد كان ذلك رد فعلي أمس . واليوم انتقلت إلى حالة خيبة الرجاء وغدا سأحاول أن أستقر .

فجأة حدث ضجيج وصخب بالخارج غير متوقع ، أخذت زوبعة من الرمال تصطدم بزجاج واجهات العرض وكان عاصفة قدمت من الصحراء .

ألقت "حنا" نظرة من خلال النافذة . كانت دوامات من التراب والرمال تغطي الشارع . وكما حدثت الضجة فجأة سكتت أيضا فجأة بعدها لم

يعد يسمع سوى طنين محرك رتيب .

وضعت "حنا" كروت المخزون بهدوء وفهمت اخيرا سبب تلك العاصفة .. إنها طائرة هليوكوبتر .

عندما خرجت من المحل لاحظت وجود تجمهر في الشارع . ورفعت في الحال ذراعيها لتحمي وجهها من سحابة الغبار التي ظلت تدور في الهواء . رغم أن اذرع مروحة الهليوكوبتر كانت شبه متوقفة عندما بدا الغبار يخف بدرجة تسمح بالرؤية استطاعت ان ترى الطائرة وكان الجمهور قد اطلق مختلف النظريات حول ذلك الإقطاعي المخبول الذي هبط بطائرته على ارض "بيكون ريدج" .

حمت "حنا" عينيها في حين بدا الشبح المجهول يهبط سلم الطائرة الهليوكوبتر .

كان الإقطاعي المخبول هو "رايدر نايت" . ظلت الشابة ذاهلة عما حولها اسفل مظلة الشرفة الأمامية للمحل بينما يقترب الجمهور من "رايدر" . اخذ "بيلي شي" يضربه على ظهره اما "تور" صاحب المقهى فقد ابتسم واظهر كل اسنانه . رفعت "حنا" حاجبيها وهي ترى امراة "نافاجو" تمسك بـ"رايدر" من ذراعه وتشده للأمام .. كانت تلك المراة هي "ديزي" .

سمعت صوت ضحكات "رايدر" يتصاعد في الجو بينما حركة الجمهور تدفعه نحو المحل . كان قد وصل إلى بعد عدة أمتار من المحل عندما انفرج الجمع ليفسح له الطريق حتى يتمكن من الانضمام إلى "حنا" .

وقف اسفل الدرج المؤدي إلى الشرفة الامامية للمجمع التجاري ووضع قدمه على اول درجة ثم رفع عينيه نحوها :

- اتدرين ماذا انوي ان افعله الآن بعد عودتي ؟

اضطرت لأن تتنحنح لتسلك حلقها .

- ماذا ؟

- ساركب تليفونا او جهاز اتصال لاسلكي في كوخك .

احست "حنا" بشعور غريب . إن "ديزي" احتكت بها عامدة وهي تدخل المحل . سالته وهي تنظر في عينيه بإمعان :

- من منهما ستركبه أولا ؟

اخذ يصعد الدرج في بطء ونظراته مركزة وابتسامته الحلوة كلها وعود :

- أيهما في رأيك أبدأ به ؟

رفعت ذراعيها لأعلى ثم اسقطتهما وهي تحس بالعجز :

- لست ادري كيف افكر .

كانت "ديزي" من خلفها تطرد الزبائن وهي تسب وتلعن . ابتسم "رايدر" وهو يسمع البائعة تعلن :

- ربما يمكنكم العودة بعد عشر دقائق او ربع الساعة ولكن الآن هيا اخرجوا .

وقف "رايدر" على الدرجة التي اسفل تلك التي تقف عليها "حنا" . واصبحت عيناه في مستوى عينيها . ثم قال :

- هل سمعت "ديزي" ؟ لدينا عشر دقائق من الخلوة الخاصة ومن الأفضل الا نضيع الوقت .

ظلت "حنا" شاخصة بنظرها نحوه دون أن تتحرك. أمسك "رايدر" بذراعها ووجهها إلى داخل المتجر . فتحت لهما البائعة الباب وحدجت الناس بنظرات نارية وإن بدا عليها الرضا . حين دخلا همس في اذنها:

- يا إلهي ! كم اشتقت إليك .

لم تعرف "حنا" إن كانت تسعد بعودته ام تحزن ؟ وهي تفكر في الفراق القريب . تامل وجهها القلق :

- من يراك يظن انك دهشة لرؤيتي .

- ربما دهشت لأنني كنت اعرف انك لن تعود .

- لقد اخبرتك انني ساعود ولو امكنني الاتصال بك تليفونيا لاخبرتك . وفي كل مرة حاولت فيها الاتصال كان المتجر مغلقا ولا يرد

أحد على المكالمة أبدا .

فكرت في نفسها : "إنه على الأقل حاول الاتصال بي" . ولكن ذلك أيضا لم يطمئنها . سألته :

- هل تمت تسوية الأمور مع أبيك ؟

- هذا بالضبط ما ظننته . لم يكن لديه نية بيع لعبة الشطرنج الذهبية . إنه يتلاعب مع السماسرة وقد اعترف بذلك . وقد طلب مني ببساطة أن أعود إلى إنجلترا ليحثني على زيادة صلتي بك . في الحقيقة كان يأمل أن يتطور الأمر لدرجة أن أتم معك الخطبة . ما الذي حدث يا "حنا" ؟ يبدو عليك أنك لست سعيدة برؤيتي .

- بل بالطبع أنا سعيدة برؤيتك وكل ما هناك أنها كانت مفاجأة.

رفع ذقنها لينظر في أعماق عينيها بينما أشاحت هي عنه . قال :

- ولكن قولي لي : ماذا حدث ؟

قالت :

- أنا آسفة .. لست سوى امرأة مبتدئة ولست معتادة تلك الأمور وسأتصرف أفضل في المرة القادمة .

أدرك "رايدر" فجأة أن الناس بدءوا يلصقون وجوههم بزجاج واجهات العرض . أمسك "حنا" من ذراعها وسحبها إلى المخزن . وبعد أن أسدل الستارة وأضاء مصباح السقف أسند ظهره على جوالات القمح المعباة وعقد ذراعيه على صدره .

- عبري لي عما تحسينه يا "حنا".. أعتقد أننا اتفقنا على عدة أمور قبل رحيلي .. ما الذي جعلك تغيرين رأيك ؟

خطت خطوتين نحو اليسار ثم استدارت وشرحت :

- أعتقد انني أستطيع تقبل ذلك يا "رايدر" . أنا مؤمنة بذلك فعلا. إن ذلك لا يسعدني بالتأكيد ولكنك قلت لي : إن ذلك كل ما تستطيع أن تقدمه لي وأعتقد انني أستطيع أن أتحمل أن أراك بين الحين والآخر وفي كل مرة تجد فيها الوسيلة للحضور لرؤيتي ما بين رحلتين . ومع ذلك في اللحظة التي رأيت فيها الهليوكوبتر تهبط عرفت انني لن

أستطيع أن أتحمل فكرة أن أودعك مرة أخرى .

- إنني لا أريد أن تودعيني .. أريد فقط أن تقولي : نعم .

وقفت في مكانها متخشبة والتفتت نحوه :

- على أي شيء ؟

دس يده في جيب بنطلونه وأخرج منه علبة من القطيفة الأرجوانية وقال :

- على طلبي الزواج بك .

فتح العلبة الثمينة الصغيرة وأخرج منها خاتما مرصعا بحجر من الماس "السوليتير" وقال :

- عندما كنا في الكوخ في اليوم السابق لرحيلي لم يكن معي ذلك الخاتم . لذلك لم أستطع أن أعرض عليك عرضا دائما .

زفرت في دهشة وهي تنظر إلى الخاتم ثم رفعت عينيها نحوه وسألته بصوت لاهث :

- هل تريد الزواج بي ؟

- سأتزوجك .. وقد حصلت على موافقة "استيدي" .

قبلها في حنان وأفهمها كم شعر بالوحدة بدونها .

- إنني سأستقر في موقع التنقيب في "فينكس" ومع الهليوكوبتر بحيث يسهل علي الذهاب والإياب ولن يحدث بيننا أي فراق . وسنحتاج إلى بيت أوسع من بيت جدتك عندما نرزق بأطفال ولكن أمامنا الوقت الذي نفكر فيه في ذلك أما الآن فخبريني بشيء واحد .

- أن أقول لك : أنا أحبك ؟

همس بصوت منقطع :

- نعم .. نعم . أحبك وأريد أن أتزوجك .

وضع الخاتم في إصبعها وقال :

- هيا بنا نخرج من هنا .

اضطرت إلى العدو خلفه لتلحق به وهو يعبر المحل بأقصى سرعة . سألته :

- أين نحن ذاهبان ؟

- هناك كوخ على بعد ثلاث ساعات من هنا لم نستطع أن نقضي به الوقت الكافي في المرة السابقة ولكن الهليوكوبتر يمكن أن تنقلنا إلى هناك في وقت قصير . إنه المكان الوحيد الذي لن يستطيع أحد أن يزعجنا فيه .

لمعت عيناها بالحماس والحب وسألته :

- إلى متى سنظل هناك ؟

ابتسم .

- للأبد .. أنت مرتبطة بمنقب عن البترول يا حبي .

فتح الباب وأمسك بيدها بقوة ليخرجا معا استقبلهما الجمهور بالتصفيق ، بينما مسحت "ديزي" دمعتين نزلتا من عينيها وأخذت تغني بلغتها الأصلية :

"ساكون سعيدة للأبد .. لا شيء يمنع عني السعادة" .

تمت

WWW.BTTY.COM
مـــور